

# الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
رئيس تحريرها المشول  
أحمد حسن الزيات

الوزارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين  
رقم ٨١ - طابرين - القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك من سنة

٨٠ في مصر والمودان  
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٣٠ ملها

أموال

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٠١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ محرم سنة ١٣٦٤ - الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

## اذكروا يا زعماء العرب!

### الفهرس

صفحة

- ٢١ اذكروا يا زعماء العرب ... : أحمد حسن الزيات ...
- ٢٣ وحى الهجرة في سياسة { صاحب الدولة أحمد ماهر باشا  
الأمم والشعوب ...
- ٢٤ طوابع الاسلام ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢٦ سر الخلود في الترميز { الأستاذ محمود شلتوت ...  
الاسلامية ...
- ٢٩ ودية مدينة سالم ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
- ٣١ الله أعلم حيث يجعل رسالته : الأستاذ محمد محمد المدني ...
- ٣٥ اعترافات مؤمن ... : الدكتور محمد مندور ...
- ٣٧ سديق إبليس ... : الأستاذ محمود محمد شاكر
- ٤٠ نظام الشورى في الاسلام { الأستاذ عبد المتعال الصعيدي  
بين الكثرة والقلّة ...
- ٤٣ التصوير الفني في القرآن ... : الأستاذ سيد قطب ...
- ٤٧ شهيد كربلاء [قصيدة] ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
- ٥٠ ثورة الاسلام ... : الأستاذ حسن جواد الجبلى
- ٥٢ مؤامرة نجيب [قصيدة] ... : الأستاذ محمد عبد النبي حسن
- ٥٤ القتل في القرآن والحديث : الأستاذ قدرى حافظ طوقان

اذكروا وأنتم  
اليوم بسبيل  
التشاور في تجديد  
وحدة العرب أن  
الركن الأول من  
أركان دينكم هو  
التوحيد ، وأن  
العمل الأول من  
أعمال نبيكم كان  
المؤاخاة

اذكروا نعمة الله  
عليكم إذ كنتم

أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ؛ واذكروا  
إحسان النبي إليكم إذ كنتم أشقانا فجمع شتيت شملكم فأقم  
على وحدته ملكاً وسلطاناً .

اذكروا لماذا نذكر صاحب الهجرة في كل أذان وفي كل  
صلاة من كل يوم . هل نذكر اسمه مع اسم الله تعبداً به ؟



معاذ الله فما يكون الشرك غير هذا ؛ إنما نذكر الله ونذكر بعده عمداً كما تُذكر القاعدة ومعها المثيل ، أو النظرية وبمدها العمل . لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، ويأمر وهو ينفذ ، ويشرع وهو يطبق . فذكر الله استحضار لأوامره وتواحيه وتلك هي القدرة ؛ وذكر الرسول استحضار لأفعاله وأقواله وتلك هي القدرة .

اذكروا أن الوحدة هي التي أمكنت العرب في الأسر البعيد من تراث كسرى قيسر ، وهي وحدها التي تستطيع في الغد التريب أن تنفذهم من وراث (موسو) و (هنلر)

قولوا للمؤمنين منكم والمؤمنين عنكم : إن العصبية التي توسوس في بعض الصدور بالرياسة والسيادة والذرة إنما كانت في تاريخنا الحافل بالأحداث والمبرعة المثل في انشقاق العصا ، وانقسام الرأي ، وانحلال العقدة ، وانتشار الأمر ، وتعدد الدول . هي الشجرة<sup>(١)</sup> التي قالت يوم الحقيفة : منا أمير ومنكم أمير . وهي الهامة<sup>(٢)</sup> التي خرجت من قبر عثمان وظلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ! نحن قيسيون وعنبيون ! نحن علويون وعباسيون ! نحن عرب وشعبيون ! نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع في الدين ، وتتصادى في الدنيا ، وترغم كل فرقة منها أنها هي الناجية ! نحن ثلاثة خلفاء في وقت واحد : عباسي على عرش بغداد ، وأموي على عرش قرطبة ، وهاشمي على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يفتيه ، وحدثان مع الباغيين على أخيه !

اذكروا كل أولئك يا زعماء العرب واستاروا بسيرة نبيكم في السياسة ، واستقنوا بسنته في الحكم ، فإن محمد بن عبد الله الذي آثر أن يكون نبياً عيذاً على أن يكون نبياً ملكاً قد ساس الناس في عهده سياسة دينية لا تفرق بين على وبلال ، ولا بين قريش وباهلة . لم يسهمهم عليه السلام سياسة وطنية ، لأن الوطن محذور والدين لا حد له . ولم يسهمهم سياسة قومية ، لأن القوم جماعة متميزة لا تعرف الموم ، والدين إنسانية شاملة لا تعرف الخصوص . ومن كان مديناً بزعامته لربه لا لحزبه

(١) الشجرة ذبابة زرقاء طنانة تدخل في أف الجير والحيل ، تطرب وتبيح ، وتقتسل في الحيلاء والكبر

(٢) الهامة في أساطير العرب الأولين طائر يخلق من رأس القتول ولا يزال يصيح في رأسه يقول : استقن ، استقن ، حتى يقتل فاته

كان خليفاً لأن يساوي بين الناس جميعاً في هدله وفضله . أما وقد استشرشت العصبية ففرقت شعبنا فرقا لكل فرقة طرز ورسوم ، ومزقت وطننا مزقاً تفصل بينها مكوس ونجوم ، فأنا أحرى بأن نصلح الأمر بما يصلح عليه أوله ؛ نخبذ في نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكن في رؤوسنا صف الهوى ، ونجدد في أذهاننا ما طمس من معاني الإيثار والإخاء والنفاء والبروة ، ونجدد في أفهامنا ما اتهم من هذه المبادئ الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون أخوة » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، الناس سواسية كأسنان المشط .

وتلك هي التلويح العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب الكروية المسخرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرث عقب الحرب ، فيحول بينها وبينها تصادم القوى وتمازج النافع .

\*\*\*

لا نطمح في أن نجعل من الوطن العربي الذي قطعته القاصيون الآكاون دويلات أو لقيات يسهل ازديادها ، وحدة كاملة . ذلك فوق الطاقة الآن ، لأنه عمل لم يتم عليه من قبل غير عمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل من رجال عمد . هو الرجل الذي ينتظره العرب انتظارهم رجمة الربيع ؛ ثم لا ينفكون يمدقون النظر المبهرج<sup>(١)</sup> في الأفق القاتم رجوا أن تنشق الحجب عن ظهوره . وبمحينا اليوم أن نعهد أمامه الطريق ونهيء له الفوس بهذه ( الجامعة العربية ) التي تتوافدون إلى عقد ميثاقها في القاهرة . فإذا آقنموها يا زعماء العرب على الإيمان الصادق والنية الخالصة كانت إرهابنا لظهور ذلك الزعيم العظيم الذي يجمع الله لكم فيه الراعي الذي يطرد الذئب ، والنظام<sup>(٢)</sup> الذي يجمع الحب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع السلم ، والأستاذ الذي يملككم أن تصنعوا الأبرة والدفع ، وتشقوا النجوم والحقل ، وتوقعوا بين الدين والدنيا ، وتلاعوا بين النعمة الخاصة والمنفعة العامة ؛ ويوشد تمودون إلى منزلتكم من صدر الحياة ومكانتكم من قيادة الناس .

محمّد الزاوي

(١) المبرج : الباك المزين .

(٢) النظام : الحيط القوي ينظم به المؤلذ ونحوه .

وَحْيِ الْهَجْرَةِ فِي سَيِّدَةِ الْأُمَمِ الشَّعْبِ  
لصاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا

يقول تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم .  
قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا :  
ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم  
وساءت مصيرا »

يوحى يوم الهجرة ، بصور لأولئك الذين أنجبهم الإسلام ،  
وهذبهم فضائله ، فأحسنوا القيام على أمهم وشعوبهم ، وقدروا  
الأمانة التي ائتمنهم عليها حق قدرها ، فلم يقربوا إلا لوجه الحق ،  
ولم يبعدوا إلا في سبيل الحق  
وهذا عمر الفاروق يقول لولائه : اجعلوا الناس في الحق  
سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم  
إياكم والرثا - فإنها السحت - وإياكم والحكم بالهوى ،  
وأن تأخذوا الناس عند الغضب »

\*\*\*

وإني إذا ماروت في الأمر ، وفكرت لم كان اختيار  
الهجرة بدءا للتاريخ الإسلامى ؟ لا ألبث أن أفتنع - على بينة  
من الأمر - أنه يراد أن يكون المسلمون دائما على ذكر من  
الحقيقة الخالدة ، وهى أن سبيل الرفعة وطريق العزة - الجهاد  
الجهاد للحق الخالد والعدل السرمدي  
وإنه لن يمين الطالع أبث يكون على عرش مصر الملك  
القدي ، « فاروق الأول » ؛ فهو الأسوة الحسنة لشعبه  
وللشعوب الإسلامية . أعز الله ملكه ، ونصر عهده ، وحقق  
في أيامه مجد الإسلام وعزة المسلمين .

(م)

سيصدر بعد قليل كتاب :

## دفاع عن البلاغة

بـمـ  
محمد حسن الزيات

وقد أضيفت إليه فصول لم تشرق في « الرسالة »

قال صاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا وهو الرجل  
الذى نذبه المون الإلهى ليكون الوزير الأول لمصر في تلك  
الحقبة من تاريخ. يتوج بالهول ، وتفوق أرضه بالحلم ، وتمطر  
سماؤه بالمصراقي - ومصر - قلب العربية ، وأمل شعوبها ،  
تسطع بأعبائها وأعباء جبرتها ، وقد أخذتها الأحداث ،  
وأحاطت بها التبعات ، وتقاذفتها الأهواء ، فإذا « بالفاروق »  
أعزه الله بحمله على شؤون البلاد ، يقيم الليل ويرد على الوطن  
هيئته ، ويسير في المترك العالمى على بصيرة من الأمر ، وعلى  
هدى من الحق .

قال هذا الرجل ، وهو يتحدث عما ( توحى به الهجرة ) في  
وجدان الرجل السيامى :

« يوحى يوم الهجرة أنه لا حياة للأمم ولا للشعوب ، إلا بالجهاد  
الدائم ، والكسح والدأب المتواصل . وليس الجهاد قاصرا على  
مكافحة الأعداء ، بل أشد الجهاد ، وأعنف الجهاد ، مكافحة  
الشهوات والأهواء

فلقد رجع محمد رسول الله من بعض غزواته المظفرة فقال :  
وجئنا من الجهاد الأصفر إلى الجهاد الأكبر - جهاد النفس  
والهوى -

تذكرنا يوم الهجرة بأن الإنسان لا يحصى إنسانيته - بل  
عقيدته - إن هو أقام على الموان راضيا ، وإعنا حق إنسانيته  
وراجب عقيدته أن يكافح الطغيان ، وأن يصرخ في وجه الظلم ،  
فإذا أمجزه أن يحصى عقيدته وإنسانيته فليهاجر بهما حتى يبلغ  
مأسته ، ثم يستأنف جهاده ونضاله

وإن الله لن يرضى أبدا عن الدليل المستضعف في الأرض ،  
وهذا كتاب الله يحقر المستضعفين ويؤنب الأذلاء

# طوال الإصلاح الإسلامي

## للأستاذ عباس محمود العقاد



اسم كتاب  
ألفه الدكتور  
لورنس براون  
أستاذ مقارنة  
الاديان بجامعة  
مانشستر ،  
ونشره في  
أوائل السنة  
الماضية ١٩٤٤  
وعرض فيه  
الحركات  
التجديدية

والإصلاح التي ظهرت منذ القرن الماضي في أنحاء العالم الإسلامي من الهند إلى إيران ومصر ، وما يليها من الأقطار الآسيوية والإفريقية

وقد خرج من هذا العرض بخلاصة يسهل على الباحث من غير المسلمين أن يقبلها ، ولكن لا يسهل قبولها على المسلم الذي يؤمن بدينه ويعرف ما فيه من قوة على بث الدزائم وإحياء الأمل ومزج الحديث بالقديم أو التقريب بين العقيدة والمعرفة وبين الأصول الدينية والأصول العلمية . فإن الخلاصة التي خرج بها الدكتور براون من عرضه أن الأمل في نهوض دعوة إنسانية تنفع البشر كافة من أعماق الروح الإسلامية ضعيف ، وإنه لا يرى في العصر الحاضر زعيم من الزعماء الروحانيين في الأقطار المحمدية خليف أن يحمل أعلام النهضة المرجوة ، أو يقود بني الإنسان في طريق الإصلاح والتهديب ، ليحل لهم المشكلات الروحية والاجتماعية التي تواجههم عند كل عطفة بخطوتها في حياتهم المصرية

وتقليل هذا اليأس من مستقبل الإسلام عند الدكتور براون - أو من طوابعه كما سماها - أن الإسلام يمزج الدنيا عن الروح الإلهية ، ويجعل الوحي الذي يقود الأنبياء والمعلمين عملاً خارجاً عن الإنسان يهبط عليه من السماء حين وحين وقد انقطع هبوطه على البشر بعد خاتم المرسلين . ويؤمن الدكتور براون أن شأن الإسلام في ذلك غير شأن المسيحية والموسوية ، لأن روح الله تخرج بالإنسان في العقيدة المسيحية ، ولأن الموسوية أخرجت كثيراً من الأنبياء ونصت بعض آيات كتابها على نفي النبوة لجميع بني إسرائيل ليستموا من داخل سرائرهم إلى صوت الله . ويقول الدكتور براون إن الشعائر المادية في الموسوية والمسيحية إن هي إلا كناية عن الماني الإلهية أو الروحانية التي ترمز إليها ، وليست هي كذلك في الإسلام كما يقول

والذي قالت الدكتور أن المسلم الذي يعتقد أن الله خلق آدم على صورته لا يمكن أن تعوزه الروح الربانية ولا أن يجرد الإنسان من هذه الروح ، وأن الآيات التي وردت في القرآن عن روح الله والروح عامة أكثر من نظائرها في الكتب الأخرى التي قلما تعرض لكلمة الروح بالمعنى الذي يستفاد من نصوص القرآن -

وقد قالت الدكتور براون شيء أهم من ذلك كان ينبغي ألا يفوته لأن الدليل عليه قائم من أطوار الحركات الإسلامية التي أشار إليها في كتابه ، وذلك الشيء المهم الذي قاته هو أن الإيمان بنصيب الإنسان من الربانية أو بحلول الماني الإلهية في الإنسان لم يكن قط مسألة نصوص مكتوبة وشعائر ملبوسة ، وإنما هو مسألة فطرة تمتاز بها الأمم كما تمتاز بها الأفراد ، وقد نشأت عقائد الروحانية أو الإلهية في المسيحية من تفسير الفلاسفة والأخبار الذين آمنوا بالدين ولم تنشأ من المشكلات التي يقرأها كل إنسان في هذا الكتاب أو ذاك

وإن الدين الواحد لتؤمن به أمتان هذه غالبية في الوقوف عند المحسوسات ، وتلك غالبية في المزج بين عالم الحس وعالم الغيب ، أو في المزج بين الجسد والروح . وإن الكتاب الواحد ليقرأه الرجلان في مدينة واحدة - بل في بيت واحد - فيفهمه أحدهما

الأمين في حربه الأبدية لإله الشر أهرمان

وفي الجزيرة العريضة ظهرت الدعوة الوهابية التي تنكر الترف في الكساء والبناء ، وتبطل معاني الرموز والإشارات والتوسل بشيء من الأشياء يقع عليه الحس من جماد أو ذى حياة ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس فطرة الصحراء في هذه الصرامة الخلقية وهذا الفصل الحاسم بين عالم الحس وعالم الغيب ، خلافاً لتلك الأقاليم الهندية أو الفارسية التي امتزج فيها الحس بالتخيل واتصل فيها عالم الأرض وعالم السماء

وفي مصر ظهرت دعوة الإصلاح على يدى الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله فكانت تلميحاً جديداً في مدرسة قديمة ، أو كانت تفسيراً للقوانين الإلهية لا يخرج بها عن نصوصها ولكنه يحفظها في تلك النصوص ويقتبس منها المعنى الذى يوافق معارف العصر الحديث

ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس في هذه الدعوة روح مصر التي عرفت نظام الحكم منذ آلاف السنين ، وتعودت أن تدفن بنصوص الأمر والنهى من ملك بعد ملك وأسرة بعد أسرة ، فليس فيما تعمله أو تدفن به إلا ما هو نص محفوظ أو مستمد من تفسير النص المحفوظ بالمعنى الذى لا يخرج عليه ، أو هي روح مصر التي عرفتها منذ قام فيها بالنبوءة فرعونها أخناتون ، وهي الأمة الوحيدة التي تلقت نبوتها من عرش وصولجان

فالحركات التي تتمثل فيها روح التجديد أو الإصلاح بين المسلمين حركات أقوام وظبائع تختلف بينها في العقائد الروحانية والريانية على حسب الفطرة التي طبعت عليها ، ولا تعوقها النصوص والسكيات عن اقتباس المبادئ التي تهيا لها بفطرتها وقد وقع خلاف كهذا الخلاف بين المسيحيين والموسويين يرجع إلى أسباب كهذه الأسباب من أثر البيئة الإقليمية أو البيئة الثقافية أو السياسية

فليس في الإسلام إذن ما يمنع نشوء الحركات الروحانية أو يمنع الاتصال بين روح الإنسان وروح الله ، وإن كان المسلمون يابون أن تلتقى نصوص كتابهم كما يابى الكتابيون من المسيحيين والموسويين أن تلتقى نصوص التوراة والإنجيل وإنما أصاب الدكتور براون في رأى واحد وهو كلامه عن حاجة النهضة الروحانية إلى زعيم قدير ينفخ في الأذن الإسلامية

على طريقة المتصوفة أو القائلين بوحدة الوجود ويفهمه زميله كما تفهم الأوامر العسكرية كلمة وحرفاً حرفاً بشير تعليق ولاناويل ولو شاء الدكتور براون لفطن لهذه الحقيقة الواضحة من التفرقة بين الحركات التي أجمل الكلام عليها في الهند وإيران ومصر والحجاز ، وهي حركات القاديانية والبهائية ودعوة الإمام محمد عبده والإمام عبد الوهاب . فكل هذه حركات تجديد أو إصلاح نشأت في الإسلام وبين المسلمين واعتمدت على الكتاب الذى يدين به كل مسلم وهو القرآن الكريم ، ولكن الفرق بينها في الواقع هو الفرق بين فطرة الهند وفطرة الفرس وفطرة المصريين وفطرة العرب ، أو بين الأمزجة والمادات الذهنية التي تعودتها هذه الشعوب من موروثاتها القديمة ودياناتها الفكرية والإقليمية

ففي الهند ظهر غلام احمد القاديانى فيشر بمذهبه الجديد وزعم أنه هو عيسى بن مريم وهو المهدي وهو الإمام المنتظر في مذهب الشيعيين ، وادعى فيما ادعى أنه تلبس بروح مريم المذراء ثم تلبس بروح المسيح على نحو لا تدركه العقول ، وصدق نفسه وصدق أناس من مريديه حين خيل إليه أنه روح الله حلت في جثمان إنسان لإفقاد المسلمين والمسيحيين على السواء من الضلال

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة بقية من بقايا البيئة الهندية التي نشأت فيها عقيدة تقمص الأرواح وتجدد الروح في جثمان بعد جثمان ، تارة جثمان ذكر وتارة جثمان أنثى ، ومرة رسم حيوان ومرة رسم لإنسان

وفي البلاد الإيرانية ظهر مرزا على محمد الشيرازي ، وزعم أنه الإمام المنتظر ، ثم انتحل عقيدة الاسماعيلية فيما يشبه القول بوحدة الوجود ووثب من ذلك إلى القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقيقة الباطنة التي تبيح أصحاب الحلول - حلول الإله في الإنسان - أن يتصرفوا في الأحكام والقواعد الدينية تصرف الوحي الجديد لأنهم يسعواحون مشيئة الله فيما يقولون ويعملون ، ثم جهر بالفناء بعض الشعائر المقدسة التي اتفق عليها المسلمون سنين وشيعيين حينما صرحت بها نصوص القرآن

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة نزعاً للبيئة التي نشأت فيها طلائع الباطنية والاسماعيلية ، بل نزعاً للبيئة التي نشأت فيها الإيمان بحلول أو رمزد في جسد «متر» رسوله

## سُبْحَانَكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ دَسْلَوِي

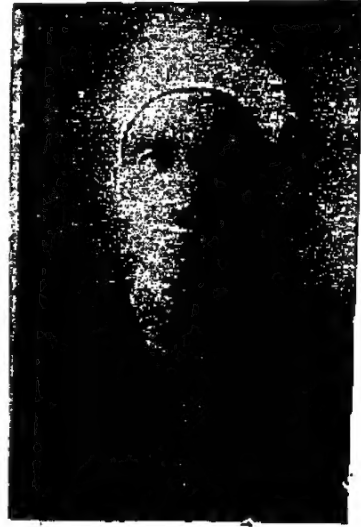
الأرض هداية السماء ، وهذا هو « الإسلام » الذي دعا إليه جميع الأنبياء ، وهذا هو الوحي الذي أوحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى به إلى نوح والنبيين من بعده ، وهذه هي الوصية التي « وصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لك الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

تختلف الشرائع وراء هذا الجوهر في التفاصيل : فصور العبادات ليست واحدة ، وأنواع التكليف متعددة ، ودرجات التقيل أو التخفيف متفاوتة ، كل ذلك باختلاف الأمم والأحوال والأزمان « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها آياتكم » .

وقد قضت حكمة الله أن يظل هذا التدرج بالناس عصرًا بعد عصر ، ورسالة بعد رسالة ، حتى تصل البشرية إلى مرتبة من النضوج الفكري والسمو العقلي ، تنهياً منه لاستقبال شريعة كاملة باقية ، لا تنسخ بغيرها ، ولا بأنها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فكان ذلك في عصر محمد صلى الله عليه وسلم : اصطفاؤه الله لهذه الرسالة الكبرى بعد أن دعاه ورباه وصنعه على عينه ، ثم انتزعه من بيئة الشرك والوثنية والكبر والعنجهية والثبات على الباطل الموروث إلى بيئة أخرى فيها صلاحية ولها اعتماد لقبول دعوة الحق ، فهاجر إليها مع صفوة من أهل الإيمان الراسخ ، والولاء الثابت ، يحبون الله ورسوله حباً لا تشوبه شائبة من أغراض هذه الدنيا ، ويتسابقون إلى السمع والطاعة غلصين راضين .

في هذا الجو الملائم ، وبين الأنصار والمهاجرين ، أخذ الوحي ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بتفاصيل هذه الشريعة في العبادات والمعاملات والأخلاق ، وأخذت جماعة المسلمين تركز ويتكون قانونها العام ، واستمر ذلك بالتدرج مدى عشرة أعوام هي حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، حتى أصبح العالم أمام دولة ناشئة قوية لها أحكامها الشاملة ، ومبادئها القوية في كل شأن من شئون الحياة من بيع وشراء ، ونكاح وطلاق ، وميراث وهدية ووصية ، وزكاة وصدقة ، وقضاء وعقوبات وحرب وسلم وغير ذلك .

يومئذ أعلن القرآن في وضوح أن هذا الدين قد كمل كلاً مطلقاً ، وأن نعمة الله به قد تمت ، وأنه قد ارتضاء لبياده فلا



إنما شرعت  
الاديان لتصفية  
الأرواح ، وتخليص  
المقول من شوائب  
المقائد الفاسدة ،  
لتؤمن بالله خالق  
الكون ومدبره ،  
وتدعن لمظلمته ،  
وتعترف بوحدانيته ،  
وتسلم من الخضوع

والمبودية لكل ما سواه ، وتتبع هداة وتسلك مسراطه السوي فلا تضل ولا تنشق .

هذا هو الجوهر الذي قامت عليه سائر الأديان منذ عرفت

وغير الإسلامية من روحه القوية فينبغها وينفع البشر كافة من طريق نعمها

وقد شهد أثر هذا الزعيم حين وجد ، فإذا هو أثر عظيم قلما يشبه أثر الزعماء الصالحين في الأمم الحديثة ، فكان جلال الدين الأنفاني باعنا لتهنئات الإصلاح في الهند وإيران ومصر وتركيا وسائر الأقطار الإسلامية ، وقد يخلفه زعيم مثله فيقرب الأمل للملئى استبداده الدكتور براون لأنه لم ينظر إليه بعين المسلم الذي يستمد العزيمة من هذه الآمال

ومما لا شك فيه أن الإسلام اليوم قوة مانعة لكثير من الشرور التي تهب على الناس كافة من قبل المذاهب الهدامة التي تبني على أساس المادية العمياء ، وفي وسع هذه القوة المانعة أن تنطلق في سبيل الإصلاح قوة روحانية دافعة إلى الخير العميم ، إذا قيض لها الزعيم العظيم

عباس محمود العقاد



« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » :

هى فى العقيدة وسط بين الذين ينكرون الإله ، ويرغمون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادقات والتفاعلات المادية « إن هى إلا حياتنا الدنيا غوت ونجيا وما يهلكنا إلا الدهر » وبين الذين يقولون بالتعدد ، ويتخذون مع الله أنداداً : تقرر فى صراحة وجلال أن الله إله واحد ، وأنه المبود الذى لا يعبد سواه « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ، « وقال الله : لا تتخذوا إلهاً من دونه » ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . وهى فى الأخلاق وسط بين الذين يتخللون من كل الفضائل وبين الذين يشغلون فى تصور الفضيلة والتزام طرف التشديد فيها : تقرر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين : لاجين ولا تهور ، لا بخل ولا تبذير ، لا استكبار ولا استخذاء ، لا جزع ولا استكانة . وأساس ذلك كله قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » . وهى فى صلة الإنسان بالحياة وسط بين المادية البحت ، التى لا تعرف شيئاً وراء ما يقع عليه الحس من طعام وفراش ولذات وشهوات وغلبة وبطش وجع للأموال وتكافؤ وتفاخر ، وبين الروحية البحت التى ترهق فى الحياة وتمرض عنها إعراساً تاماً ، فلا زواج ولا سمى ولا عمل ، ولكن تبطل مطلق وإهمال للأسباب ! يقرر الإسلام فى ذلك الوسط أيضاً فيقول « واجتنب فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ، « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وهى فى طريقة التشريع ووضع قوانين الحياة وسط : لم تدع الناس يشرعون لأنفسهم فى كل شيء ، ولم تقيدهم بتشريع من عندها فى كل شيء بل نصت وفوضت : نصت فيما لا تستقل للعقول بأدراكه ، كالمبادئ زماناً ومكاناً وكيفية ونحو ذلك ، وفيما لا تختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، كالواريث وأصول المساملات من بيع وشراء وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك ، وفوضت فيما يترك

يقبل منهم سواه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » : « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

بهذا تقرر ، وأصبح من العقائد الإسلامية ، أن هذا الدين خالد ، وأنه بمقيدته وشريعته طريق الصلاح والنجاة للناس فى دنياهم وأخراهم ، وأن العالم مهما طال به الزمن وامتدت به الحياة لا يحتاج فى صلاحه إلى شيء وراء الاستقلال بظل هذا الدين ، والعمل بعبادته ، ومن هنا استقرى الأذهان أن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان .

ولكن ما سر هذه الصلاحية التى استحقت بها شريعة الإسلام أن تكون هى الشريعة الخالدة ؟ وهل فى استطاعة الباحث أن يثبت ذلك فى صورة علمية واضحة يستوى فى النظر إليها جميع الناظرين ؟

ذلك ما نريد فى هذا المقال :

\*\*\*

ليس على الباحث أن يستقصى جميع الأحكام التى جاءت بها الشريعة المحمدية حكماً حكماً ، ويتتبع ذلك فى كل جزئية من الجزئيات ، ليختبر مبدأ الصلاحية ويعرف مداه ، فإن هذا شيء يطول ولا يكاد يقف عند حد .

ولكن حسبه أن ينظر إلى مبدأ واحد هو المحور الذى تدور عليه سائر الأحكام مهما تعددت وتنوعت ، ويبان ذلك : أن من يتأمل حالة العالم فى عصوره المتعاقبة وأطواره المتتابعة يعرف حق المعرفة أنه كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفریط ، وكان ذلك شأنه فى كل شيء : فى العقائد ، فى الأخلاق ، فى صلة الإنسان بالحياة ، فى علاقة الفرد بالمجتمع ، فى علاقة الأمم بعضها ببعض ، فى طريقة التشريع ، إلى غير ذلك من سائر الشؤون ، وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بوحدة من هاتين الخطتين ، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية ، منافيتان لسنن الاجتماع التى تقضى بالوقوف عند الحد الوسط . فى كل شيء لضمان البقاء والصلاح ، وعدم التعرض للانحلال والفساد . أدرك الإسلام ذلك فقامت شريعته وسطاً لا إفراط فيها ولا تفریط ، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت فى هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله عز وجل « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » ،

وأن يسكنوا عزلاً من القوة ينتظرون حطهم ، ويترقبون مصيرهم ، وما تقرره الأمم الأخرى في شأنهم ، ولم ترض لهم كذلك بحياة الظلم والاستبداد والفتك بالضعفاء والاعتداء على الآمنين في أوطانهم وأموالهم ، ولكنها أمرت المسلمين بالاستعداد والتقوى بالعدد والسدة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحجة والبرهان لا بالألجاء والقهر « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » « أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين »

ونظرت إلى الحرب وأسبابها الداعية إليها والفقيرة إلى شب نيرانها نظرة تتفق وغايتها من الصلاح العام والمساواة بين الناس والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، فخصرت أسبابها في دائرة معقولة تتناسب مع كونها ضرورة من الضرورات : دفع الظلم والعدوان ، وإقرار حرية الدين ، والدفاع عن الأوطان ، وإن القرآن الكريم يرشد إلى ذلك في عدة مواضع إذ يقول :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالى « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

وقد أباحت الشريعة الإسلامية أن ينشئوا ماشاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم في الدين أو الوطن من كل ما يروونه عونا لهم على حياتهم في شئون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة ، ينظمون ذلك كله على الوجه الذي يتبين صلاحه ، والذي تقضى به سنن الاجتماع والفضيلة ، والذي لا يتعارض مع دستورهم الخاص ، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان إليهم

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالى « لا ينهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن

العقل الخبير فيه وتختلف المساحة فيه بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، ومن هنا وجد الاجتهاد وكان ركنا من أركان الشريعة الإسلامية حفظ الله به للعقل الإنساني كرامته .

وهي في تحديد علاقة الفرد بالجماعة وسط أيضا : لم يترك الفرد طليقا يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ولم تدعه كالوحش في القفلة يجرى ويترج ويعبت ويفترس ما يقدر عليه ، ويتحكم فيه الأقوى منه ، ولم تلغ شخصه ، ونفس استقلاله ، وتضعفه في غمار الجماعة لا يعمل إلا لها ، ولا يفكر إلا فيها ، ولا يعرف لنفسه وجودا غير وجودها ، كأنه جزء من آلة يتحرك بحركتها ويسكن بسكونها ، ولكنها اعتبرته ذا شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه اعتبرته لبنة في بناء المجتمع ، فأثبتت له ، بالاعتبار الأول ، حق الملكية لئلا يدمه والمهينة على نفسه ولده ، ومنحته في هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيرا له وسبيلا لسعادته في حياته ، وأوجدت عليه بالاعتبار الثاني ، حقاقي نفسه بالخروج للفرز والجهاد في سبيل رد العدوان عن الوطن ، وحقاقي ماله بالبذل والانفاق في سبيل الله ، وأوجبت عليه إرشاد الأمة وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وأوجبت عليه أن يعمل لإنجاب النسل الصالح وتكثير سواد الأمة به فيختار الولود ذات الدين والخلق ، لتقوى بذلك الأمة ويعلو شأنها

وفي مقابل هذه الحقوق التي قررت الشريعة على الفرد للجماعة ، أوجبت على الجماعة للفرد حقوقا لاسعادة إلابها : كفلت له حفظ دمه وماله وعرضه ، وشرعت لحمايته حتى القصاص وحق الحد والتعزير ، وجعلت له حقا في أن يمينه بما لها إذا افتقر ، وبذلك تبادل الفرد مع المجتمع الحقوق والواجبات ، وجعلت سعادة الحياة منقوطة بالتعادل بين الجانبين ، وعدم طغيان أحدهما على الآخر : فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته وأدركه الضعف والانحلال ، ولو ضن المجتمع بقوته على الفرد فلم يكفل له سعادته ، ولم يحفظه في ماله ونفسه وعرضه ، ولم يمينه في حال فقره أضعفه وعرضه للهلاك ، وبهذا وذلك تصبح الحياة عبثا ثقيلا لا يحتمل ، بل جحيما لا يطاق !

وكذلك كان شأن الشريعة الإسلامية في تحديد علاقة الأمة بنيرها من الأمم : لم ترض للمسلمين بحياة الضعف والذلة



فأما حزمه في الشرطة فقد قال صاحب البيان المغرب :  
« فسطط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سلف  
من الكفاة وأولى السياسة . ولقد كانوا قبيله في بلاد عظيم  
يتحارسون الليل كله . ويكابدون من روعات طرأقه مالا يكابد  
أهل الثغور من العدو . فكشف الله عنهم بمحمد بن أبي عامر  
وكفايته ونزاهه . فسدد باب الشفاعات ، وقمع أهل الفسق  
والدعارات ؛ حتى ارتفع لباس ، وأمن الناس . وأمنت عادية  
التجرب من حاشية السلطان حتى لقد عثر على ابن له  
فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا كان فيه  
حامه ، فانقطع الشر في أيامه جملة » .

وأما الفوز فكان قائده المظفر ، وبطله المحبب . وسيأتي  
حديثه .

ما زال ابن أبي عامر يرقى مناصباً إلى منصب ، ويعلو مجدداً  
إلى مجد كالنسر يعلو مرقباً إلى مرقب حتى يوفى على القنة . فلما  
توفى الحكم المستنصر وآل الأمر إلى طفله هشام اجتمع له الأمر  
كله وظفر بأعلى مناصب الدولة ، حجابة الخليفة . ثم وكله إلى ابنه  
عبد الملك وجعل له القيادة العليا وسائر مناصبه وجعل ابنه عبد الرحمن  
وزيراً . وسما هو إلى السلطان الأعلى . وأسمى المنصور . وأمر  
أن يكتب عنه « من المنصور ابن أبي عامر وفقه الله » ثم كتب  
إليه باسم ( الملك الكريم ) .

— ٢ —

ملك ابن أبي عامر الأندلس ستة وعشرين عاماً ، يدبر شؤونها  
بمدله وعزمه ويعمرها ببراً ، ويجمع لها بأبنيته ، ويضرب أحسن  
الأمثال في البأس الذي لا يخالفه جور ، والمدل الذي لا تشوبه  
هوادة ، والانصاف الذي لا يميز قريبا من بعيد ، والحكم الذي  
لا يعرف إلا النصفة والمساواة والنفاذ على كل الناس في كل  
الأحوال .

ولم تكن سياسته المعادلة الحازمة ، أعظم من قيادة المظفرة .  
حتى لقد جاوزت غزواته أقصى غزوات الناصر ، وحارب حيث  
لم يحارب قبله أمير من أمراء الأندلس .  
غزا خمسين غزوة كانت الثامنة والأربعون منها إلى شفت  
ياقوب على البحر في أقصى الجزيرة إلى الشمال والغرب ، ولم يحاولها

## وَدَّعِمْ مَدِينَتَيْ تَبَالِغِ

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

محمد بن أبي عامر  
شاب عربي آباؤه من  
مغاربة، وخوولته في غيم.  
دخل جدّه عبد الملك  
بن عامر الأندلس في  
جند طارق بن زياد .  
وارتقت بأسرته الأمور



حتى عدت في أسر الوزارات في الأندلس .

نشأ محمد نبيا طموحا هاما تبشّر مخايله بنباهة شأنه ،  
وتعبد همته بعظيم مستقبله ، بل تكفل آماله سؤدده ، وبعض  
عزمه مجده . سهر ليله وهو طالب علم يفكر فيمن يوليه القضاء  
إذا آل إليه أمر الأندلس . والمرء حيث يضع نفسه .

سار من أعوان قاضي قرطبة محمد بن السليم ، ثم وكيل لولي العهد  
هشام بن الحكم المستنصر ، وتداولت كفايته وحزمه المناصب  
إلى أن ولي شرطة قرطبة ستة إحدى وستين وثلاثمائة قضبط  
الأمور وقمع الأشرار ثم دعاه الغزو قلبى ، فاجتمعت له الشرطة  
وقيادة الجيش .

تبرؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

\*\*\*

هذا هو الصراط المستقيم ، والمبدأ الوسط ، الذي تسير  
عليه الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها ، والذي صلحت  
به لكل زمان ومكان ، واستحقت به الخلود إلى أن يرث الله  
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

محمد شنت

قبله ملك عربي في الأندلس .

قال صاحب البيان للقرب :

« ومن أوضح الدلائل على سنده أنه لم يُنكَب قط في حرب شهداها ، وما توجّهت قط عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلا قاهراً غالباً على كثرة ما زاول من الحروب ، ومارس من الأعداء وواجه من الأمم . وإنها الخاصة ما أحسب شركة فيها أحد من الملوك الإسلامية . ومن أعظم ما أعين به سعة جوده ، وكثرة بذله ، فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان » .

— ٣ —

هذه سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة من الهجرة والنصور بن أبي عامر يعزم على غزو جليقية في أقصى الشمال والغرب وهو مريض ولكنه كما قال أبو الطيب :

وقد علمت خبيته أنه إذا تم وهو عليل ركب

سار من طليطلة إلى قشتالة فأبعد الغارات فيها ، ودوخ بلاد شاذجه زعيم الأمراء المناوئين هناك .

وازداد بالباطل حرصه ، « فأتخذ له سرير خشب ودّعه عليه أعضاء وسُويّ مهاده متطاوّل الشكل يمكنه الانطجاع عليه متى خارت قواه ، وكان يُحمَل سريره على أعناق الرجال وسجّفه منسدل عليه ، وعساكره تحف به وتطيع أمره... » (١) وكانت تحمل سريره السودان الرقاسة للين مشيهم . بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم » (٢) .

— ٤ —

النصور في قصره من مدينة سالم قد استولى على الأمد من مجده ، وأوفى على الناية من عمره . ينظر إلى الحوادث الجسام قد اتخذها درجاً إلى المآلى ، ويتمثل الزمان رخاءه وشدة وسله وحربه . ويرى الأندلس كلها وأصقاعاً من المغرب طوع حكمه ، وتحت أمره ، ويشفق من تبعات هذا التاريخ التطاول وأعباء هذا السلطان العظيم ويرى كل شيء وراؤه ولا يرى أمامه إلا الموت . يقول :

(١) في أحد متاحف أو بيا صرة ابن أبي عامر محمولا على سريره .

(٢) ما بين القرنين منقول عن النخبة عن ابن حبان المؤرخ

الأندلسي .

« إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني . وددت أن أقال ذكّتي ، وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري » .

وأخذ الرجل العظيم يومئذ أمراءه وجنوده . وخلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده ، وكلما ذهب عنه استردّه مستدركا بوصيته . وعبد الملك يبكي فينكر عليه ذلك ويقول هذا أول العجز والفشل » (١) .

أوصى عبد الملك وصية الحبيب المحنك ، الأريب الجرب . وأفرغ في أذنه وقلبه تجارب عشرات السنين . ولم يترك عظيماً من أمور مملكته وأسرته إلا يبينه .

ثم أمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على المسكر ويعود هو إلى قرطبة ليتدارك أمور الملك .

— ٥ —

ابن أبي عامر في مدينة سالم في أقصى الجزيرة الأندلسية ، كالأسد أبعد في مسراه ، والنسر فالى في تحليقه ، يختم مجده مجيداً ، وينهى جهاده مجاهداً ، ويختم قصيدة ظفرو بيت رائع ، وسجل مجده بسطر بليغ ، قصيدة مطلعها الطموح ومقطعها الفافر وسائر أبياتها الهمة التي لا تقهر ، والعزيمة التي لا تنتهي ، وسجل مقدمته طموح طالب علم في قرطبة ، وخاتمة ملك حازم ، وقائد مظفر ، ومجاهد غازي في أقصى الثغور .

ليلة الإثنين لثلاث بقين من رمضان عام ثلاثة وتسعين وثلثمائة وألف في مدينة سالم مات الرجل النابغة والمبقرى الداهية . ودفن في قصره هناك . وكان أوصى أن يدفن حيث يقبض ولا ينقل تابوته . وأراد أن يحمل قبره في هذا الثغر القصي دعوة إلى الجهاد دائبة ، ومثلاً في الجهد سائراً ، وحرزاً على الثغور حربزاً ، ورباطاً على الحدود مشهوداً .

ليت شعري أين قبر النصور من قصره من مدينة سالم ؟ بل ليت شعري أين تاريخ ابن أبي عامر من صدور شبائنا ، وكتب مؤرخينا ، وأقلام كتابنا ، وقصائد شرائنا ؟ يا شعراء العربية من ينظم القصيدة الرائعة التي عنوانها : « وديعة مدينة

سالم » ؟

عبد الوهاب عزام

(١) عن النخبة

ملكوت السموات والأرض، بل لا تستدعي منه أكثر من النظر في نفسه ليعلم أن له إلهاً قادراً حكماً مبدعاً أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . عقيدة واضحة يدرکہا العامة والخاصة في كل زمان ، وليست في حاجة إلى فلسفة المتفلسفين ، ولا إلى تكلف المتكلفين ، لأنها « فطرة الله التي فطر الناس عليها » .

عقيدة تفتح أمام صاحبها آفاق الحياة ، وتجعله واثقاً من نفسه ، غير مستعين إلا بخالقه ، لا يعرف الخضوع والذل إلا لله الذي لا رب سواه .

وأحكام قوامها العدل والرحمة والتيسير على الناس ، وبث روح التعاون فيهم ، واقتلاع أسباب الشر والخصومة من بينهم ، وتهيئة الحياة السعيدة لهم .

هذا الطابع الذي تتأز به الشريعة الإسلامية ، والذي هو مزاج من الصفاء والوضوح ، والسهولة والتيسير ، والرحمة والعدل ، والصراحة في مواجهة شؤون الحياة ، ومجانبة التعقيد والتكلف في كل شيء ، هو بعبارة الطابع الذي طبع الله نبيه ومصطفاه : نفس صافية . مزاج سليم . قلب رحيم . لسان عذب صدوق . صراحة في مواجهة شؤون الحياة . بنض شديد للنفق والنافاقين . ترفع عن أساليب الختل والمواربة والخداع والدوران حول الأمور . تصرف عادل رحيم يبعث على الثقة ، ويوحى بالطمأنينة ، ويفري بالقذوة ، ويحمل على الحب والإجلال .

كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

\*\*\*

كان صافي النفس ، وقد ظهر أثر هذا الصفاء في نواح متعددة من خلقه الكريم : فهو لا يحمل الحقد لأحد ، ولا يحب أن يفسد عليه أحد هذا الصفاء النفسي فيقول : « لا يبلّغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر » .

وهو طيب في صلته بأصحابه يمازحهم ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ، ويحلمسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذرين ، ويبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة ، ويكني أصحابه ويدهوهم بأحب أسمائهم إليهم ، ولا يقطع على أحد حديثه ، وما

اللَّهُ عَلَّمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رُسُلَهُ  
لِلْأَسَاقِطِ مُحَمَّدٌ مَجْدِي



لا يكفي لنجاح أى نظام من النظم ولا لتمام أى برنامج من البرامج أن يكون هذا النظام قوياً ، أو يكون هذا البرنامج صالحاً ، فكم من نظم قوية ، وكم من مبادئ سليمة ، وكم من برامج صالحة ،

صرها الدهر وعنى عليها الزمان ولكن أهم ما توطد به دعائم الإصلاح أن يُعهد بالإصلاح إلى منفذين صالحين يفقهونه ويدركون أسرارهم ويعرفون مراميهم وأغراضهم ، وتساعدهم صفاتهم وطبيعتهم نفوسهم على تحمل تكاليفهم ، والهوض بقيامته . لذلك قضت حكمة الله ، وقد طبع شريعته الخالدة بطابع الوضوح والصفاء والبس والراحة ، أن يختار لها منفذاً ومطبقاً يكون له من الصفات النفسية ما لا يتنافر مع هذه الطبيعة ، بل ما يستطيع به أن يجارى روحها ويمضى على سننها ، ويغدق إلى صميمها ، فاختار لها « محمداً » صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

\*\*\*

تتأز هذه الشريعة بالصفاء والوضوح والصراحة في مواجهة شؤون الحياة ، ومجانبة التعقيد والتكلف في كل شيء : عقيدة سهلة لا تستدعي من المائل أكثر من النظر في

منه كل من اعتنق دينه ، فلما أظفروا الله بهم ونجح له مكة حطمت أصنامها ، وأزال أوثانها ثم خطب أهلها فقال : « يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولقد كان الرجل من العرب الجفاة الغلاظ يدخل عليه فيبر مستأذن ، ويناديه باسمه مجرداً يسأله عن شيء أو يقتضيه حقاً ، فيحمل عليه ويحببه متلطفاً في خطابه ، قاضياً حقه ، فإذا غضب له أحد من أصحابه رده عن غضبه ، وهدأ من ثورته . وقد أفضت هذه السياسة الرشيدة بكثير من أهل الكفر إلى الإسلام ، وأصبحوا بها من خيار المؤمنين .

وكان صلى الله عليه وسلم نعم المعلم لأصحابه : يردم إذا أخطأوا في رفق وأناة ، ولا ينف عليهم ، ولا يؤنبهم ، بل يتسم لهم ، ويبيش في وجوههم . حدث معاوية بن الحكم السلمي قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمطس رجل من القوم ، ولم أكن أعرف أن الكلام يفسد الصلاة ، فقلت له : يرحمك الله ! قرأني القوم بأبصارهم يتعجبون مما فعلت ، فقلت : وانكسر أمام ما شأنكم تنظرون إلى ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أنفهم وينظرون إلى متعجبين ، فلما رأيتهم كذلك سكنت حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ، فبأي هو وأنى ! ما رأيت مملاً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ! فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني ولكن قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . إنا هي التسييح والتكبير وقراءة القرآن .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق حتى على أهل الكبراء من أمته ، وقد أقام الحد على رجل فأتى فلعنه الناس وسبوه ، فقال لهم : لا تلعنوه ولكن قولوا : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه ! وكان رجل يؤتى به إليه كثيراً وهو سكران بعد تحريم الخمر فلعنه الناس مرة فقال : لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله . فكشف لهم عما يرفقه من حقيقة نفسه ودخيلة قلبه لما رفضوه لظاهر فعله ، وإنا ينظر الله إلى القلوب !

وجاء مرة رجل وهو يصلي ، فلما انتهى من صلاته قال له : يا رسول الله . إنى أصبت خطأً فاقه علي ، فسكت عنه ، ثم حاولوه

دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال له ليبيك ! وكان يكره التكاث ، وينهى عن التشدد والزمته « وبأخذ العفو ويأمر بالعرف ويخفض جناحه للمؤمنين ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن ، ويميل إلى اليسر والسهولة في كل شيء » : ما خير بين أسيرين إلا اختار أسيرهما ما لم يكن إغماً ، وما سئل شيئاً عنده إلا أعطاه ، وما انتقم لنفسه قط ، وما نهر خادماً ولا مملوكاً » .

وكان سهلاً إذا أخذ ، وسهلاً إذا أعطى ، متلطفاً في ضروب الإحسان : يقترض فيرد أكثر مما اقترض ، ويشترى فيعطى أكثر من الثمن ، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأضماها ، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر ، وكانت الصدقة أحب شيء إليه ، وكان سروره وفرحه بما بمطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه . وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه ، وتارة بلباسه ، وكان من خالطه وصحبه ورأى هدية لا يملك نفسه من الساحة والندى .

ولقد ظهرت آثار هذه الصفات الغريبة في سائر أحواله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم ، وظهرت في سياسته الحكيمة التي ساس بها قومه ، وجعلها نهجاً للحكام والرؤساء من بعده . وظهرت في تطبيقه لكتاب الله ، وتنفيذه لأحكامه . وظهرت فيما أوصى به أمته مما يتصل بالعبادات أو المعاملات أو الأخلاق : سبامه أعداؤه سوء المذاب ، واضطهدوه في نفسه وفي أصحابه ، ورموه بكل منكر من القول وزور ، وكانوا يضمنون في طريقه الأشواك والأفذار ، ويطرحون عليه وهو يصلي جلود الأبل والبقر ، ويمعنونه وأصحابه أن يبيموا لأحد شيئاً أو يبتاعوا ، بل كانوا يتآمرون عليهم ، ويدبرون المكائد لهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقى ذلك كله منهم سابراً محتسباً نقى الصدر من الحفيظة ، سليم القلب من الوجدة ؛ بل كان يلقاه بالدهاء لهم فيقول ( اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ! )

ولقد خضبوا وجهه بدمه ، وكسروا رباعيته ، وهو مع ذلك لا يدهو عليهم ، ولا يسأل الله تمديهم . ويقول : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً » . ولقد أخرجوه من مكة وطنه الحبيب إلى قلبه ؛ وأخرجوا

ولذلك كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ويزنون حكمه ، ويؤثرون على قضائه .

إن الكذب علامة من علامات النفاق ، والنفاق لا يكون من أخلاق العطاء ، ولا يخالط نفوس الأباة الشرفاء ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن سام وصلى وحج واعتقر وقال إني مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتى خان » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يشدد على أمته ويسأل الله دائماً التخفيف عنهم ، وكان يوصي أصحابه بالأبكاروا من سؤاله لئلا يشددوا على أنفسهم ، ويقول « أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يكن حراماً حرم على الناس » ويقول « دعوني ما تركتكم . إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقصد إلى تمذيب نفسه وحرمانها من طيبات الحياة كما يفعل المتشددون الذين يتكافون الزهد والورع قصداً إلى الشهرة بالصالح ، وإنما كان يأكل الطيب إذا وجد ، وكان يحب الحلواء والصل ، وبعبجه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء .

وكان يأمر بالتبشير ، ويكره التنفير . وقد بعث مماذا وابنه إلى اليمن فقال لهما : « بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا » . وكان يكره المبالغة في العبادة بما يشق على النفس ، وقد دخل المسجد مرة فوجد حبلاً ممدوداً بين سارين فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا حبل لزينب : تعلى فإذا كسيت أو فترت أمكت به ! فقال : لا . حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر فعد .

وقال لأحد أصحابه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إليك دين الله . فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

وقد نزه الله رسوله الكريم حتى قبل بمتته عن كل ما كان يأنىه أهل الجاهلية من الباذل والفساد ، وفي ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ما عمت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به إلا مرتين . كل ذلك يحول الله بيني وبين

الرجل بعد حين فقال له مثل ما قال فسكت منه ، ثم عاد إليه بعد صلاة الغداة فقال له : يا رسول الله إني أصبت حداً فأقنه علي . فقال له : أصليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم . قال : فاذهب فإن الله غفر لك حدك !

وليس ذلك تهاونا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدود ، وحاشاه ، وهو القائل في حادثة الخزومية التي سرقت وشفع لها أسامة : « والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ! » وإنما ذلك رجل قد تاب قبل أن يعلم به أحد ، أو بقدر عليه أحد ، ومن تاب تاب الله عليه « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقا بأهله ، سهلا في معاشرتهم : روى أنه كان يسرب إلى عائشة بمض بنات الأنصار يلعبن معها . ومريوما جماعة من أهل الحبشة يلعبون ، فقال : يا عائشة أتمالي فانظري ! فقامت فوضعت لحسبها على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تنظر إليهم في سرور واهتمام ، ثم قال لها : أما شبت ؟ أما شبت ؟ وهي تقول له : لا ، انتظري . . . انتظري . . .

ومن آثار صفائه النفسي وقاؤه صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يعرف الغدر ولا الفك ولا التكر مع الزمان ، لأنه لا يتقلب مع النعمة ، ولا تبطره النعمة :

كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الشركين عهد ، فأرسلوا إليه رجلا منهم بفأوضه في أمر من الأمور ، وهو أبو رافع ، فلما رآه وحده أخذته عظمتته وراعه حديثه ، وألقى الله في قلبه الميل إلى الإسلام ، وحينئذ نسي الرجل أنه سفير لقومه ، وأنه جاء للمفاوضة عنهم ، فتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له في لهجة ضارعة : يا رسول الله ! لا أحب أن أرجع إليهم فأبقي عندك ! فإذا قتل الرسول ! هل نسي عهده الذي بينه وبين الشركين ؟ كلا . ولكنه قال : لا . لا . إني لا أخيس بالهد ولا أحبس البُرء ، ولكن أرجع إليهم فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع إلينا . قال أبو رافع : فذهبت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا صدوقا لم يعرف عنه أنه كذب مرة واحدة في حياته لا قبل مبته ولا بعد مبته ،

محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتدل على خلاله الكريمة التي وافقت بها طبيعته طيبة دعوته ، فيها ما يفيد الناس جميعاً على اختلاف مراتبهم ، وفيها ما يفيد العظماء والمصلحين بوجه خاص . إنها تقول بلسان فصيح :

يادعاة الإصلاح : ليس الإصلاح أقوالاً تقال ، ولا مذكرات تكتب ، ولا مبادئ ترسم ، لتُخطف بها الأبصار ، وتُؤلف القلوب ، وتُقضى على حساب ذلك اللبانات . إنما الإصلاح أعمال تتحقق بها الأقوال . إنما هو تنفيذ حازم للرسم من الخطط روضع من البرامج . إنما هو مثل تضرب للناس يبدو فيها الإخلاص لله ، والإيمان بالدعوة ، والغيرة على الفكرة ، والفناء في سبيل المبدأ .

« يأيتها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

أسأل الله أن يصر قلوبنا بالإخلاص ، وأن يشرح صدورنا للحق ، وأن يفتح لهدى الرسول أبصارنا ، ويتبر به بصائرنا .  
إنه على ما يشاء قدير . محمد محمد الحارثي

ما أريد ، ثم ما همت بسوء حتى أكرمني الله برسالته : قلت ليلة لسلام كان برمي مي : لو أبصرت لي فني حتى أدخل مكة فاستمر كما يسم الشاب . فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة فسمعت عزفاً بالدقوف والزماير فجلست أنظر وأسمع ، ولكن النوم غلبني فلما أيقظني إلا من الشمس فخرجت ولم أقض شيئاً ، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أقم بعدها بسوء .

لهذه الخلال وأمثالها فطنت خديجة رضي الله عنها ، فلما جاءه الملك لأول مرة بالوحى ، وذهب إلى بيتها يقص عليها ما رأى ، ويذكر لها ما باوره من خوف على نفسه ، قالت له : « كلا ، والله لا يجزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » عرفت من شريف صفاته ما اتخذته دليلاً على نجاحه في مستقبل حياته .

\*\*\*

هذه دروس وعبر وآيات بينات تشرق واضحة في سيرة

# لجنة النشر للبحر المبين

تقدم

محمد رسول الله

تأليف

مولاي محمد علي

ترجمة

الأستاذ مصطفى فهمي

يطلب من

مكتبة مصر شارع الفجالة بمصر

الذين قرأوا وطلبوا في فلسطين من مكتبة الظاهر اخوان ، وفدايان من المكتبة الأهلية وفي العراق من مكتبة المعارف



# الاعتزاف في موضوع

للدكتور محمد مندور



لا يستطيع مثلي أن يتفكر  
لجلال الفكر البشري، وهو منبع  
شقائنا وعزائنا على السواء ،  
ولكنني أحسب أن هناك أنواعاً  
من ذلك الفكر، فالمرء قد يفكر  
بمقله وقد يفكر بخياله وقد يفكر

بقلبه . والتفكير بالمقل هو ما يشفر منه طبعي وذلك لأنه ما لم  
يخلق الفكر إلى عالم الصور الجميلة بخيال قوى أو يرسب إلى  
أعماق القلب بحرارة حياة لم تهتز له نفس ولا اطمأن إيمان ، وإن  
كنت لسوء الحظ مضطراً كفتيري من البشر أن أكرس في  
بعض الأحيان جناح الخيال وأن أطق حرارة القلب حين لا  
يكون بد من أن تتناول الأمور ببرودة العقل اللصيق بالأرض .  
منذ أزمة الإيمان التي صادفتني في اليقظة كما أحسبها  
صادفت غيري وأنا دائم التفكير في حقيقة ذلك الإيمان . ولقد  
صهت في عقب تلك الأزمة مباشرة أهوام كنت أناقش فيها كل  
من أتى عن المشاكلك التي يشربها العقل عن وجود الله وكيف  
كان ذلك الوجود وعن علاقته بهذا العالم وما فيه من خير وشر .  
ولا شك أنني كنت أبحث عندهم على غير وجهي مني من يقين  
أطمئن إليه ، ولكنني أعترف في بساطة أنني ما قرأت ولا سمعت  
ما يوجب ذلك اليقين ، حتى أصابني ما يشبه اللل فلم أعد أطيع  
الحديث في هذه الأمور ، وأصبحت كلما سألني عنها سائل أو تحدث  
بها متحدث وميته بالتفاهة وذلك بوعي مني أو غير وعي ،  
ولكنها تفاهة لا يمكن أن أعفيه منها ما بلغ سؤاله أو حديثه  
من عمق أو أسالة . ولقد حاولت غير مرة أن أتبين السرفي  
موقفي هذا فوجدته ، أو خيل إلي أنني قد وجدته ، في أمرين : أولهما

أن العقل نفسه نشاطه الأكبر موجه إلى تقويض ذاته ، فهو لا  
يزال يبحث عن حدود قدرته ويتناول بالشك ما يصل إليه من  
آراء ونظريات يماود فيها البحث فيعرضها حتى أصبح نقده  
لنفسه خليقاً بأن يهدم ثقتي فيه . وثانيهما أنني كنت أحس  
دائماً في غموض أن تطاول العقل إلى ما لا يستطيعه دليل ضعف  
فيه لا قوة ، ولهذا كم كانت فرحتي يوم سمعت عميداً لسكالية  
الطب يباريس يقول : إن من أمارات الضعف العقلي أن تبحث  
بمقلنا عما لا نستطيع أن نفقد إليه ، والعقل القوي هو الذي  
يعرف حدود قدرته . لقد خيل إلي عندئذ أن هذه الألفاظ قد  
أمنأت مظلمة في نفسي ، فرأيت بوشوح ما كنت أحسه غامضاً .  
ومنذ ذلك الحين آمنت بتفاهة من يناقشني في الإيمان بمقله فهذا  
رجل ضعيف العقل سبدد لنشاطه هدرأ

أنا إذن لا أحب الحديث عن الإيمان ولا أؤمن بالدعوة إليه ،  
ولكنني مع ذلك مؤمن بإيماناً راسخاً ، وليست لي في الحياة  
قوة غير هذا الإيمان ، فقد تهب أعاصيرها ومن الممكن أن  
تفكر لي يوماً عناصرها ذاتها ، ولكن ذلك لا أظنه ينال مني  
شيئاً ، وذلك لا اعتزازاً مني بمرض حياة أو مواهب نفس ،  
ولكن لأنني مؤمن بالله عادل الطمأنات إليه نفسي بحيث لا أذكر  
أنني قد اتجهت إليه يوماً فلم أجد تأييده ، وعند ما أدعوه يسكت  
في نفسي طنين الفكر فلا أحس غير الصمت الساكن ولا أفكر  
حتى في وسائل القوة التي أتيها ؛ وإنما أساق بمد ذلك في غير وعي  
إلى تلك الوسائل كالآلة المسيرة وهي تمرض غلاطري في لحات  
خاطئة فأسير إليها دون أن أتبين حتى مواقع أقدامي ، وإنما  
أكتفي بما أستشعر من ثقة من أنني ما دمت قد تركت الكون  
إلى الحركة فإني في سواء السبيل . ومهما تكن بمد ذلك من  
سمويات ، فلا يمكن أن يساورني شك في أنها ستدلل رلو في  
اللحظة الأخيرة وذلك هو الإيمان الهادي

من أين لي بهذا الإيمان وقد لقيت ضروباً من الناس وقرأت  
ألواناً من الكتب ، ودرست أنواعاً من اللغات والثقافات ، بل  
وخبرت الحياة هزلهما وجدها في كافة الأجواء وتحت مختلف السموات .  
أستطيع اليرم بعد أن نضجت ملكاتي أن أقول إنني لم يقنمني  
أحد به ، ولا اكتشفته في بطون كتب ، ولا تلقيته من أفواه بشر ،

بذلك ، ولكنني أيضاً لم أكتشف سر هذا الجود ، وآمنت أنه لا يجوز لي أن أتطاول إلى كشفه ، وهكذا تهيأت نفسي إلى الإيمان بالجهول والاطمئنان إليه والثقة به ، وأكبر ظني أن الخير ما أراد الله . فلو أن أبي بصري بما أردت خلعت نفسي من الأسرار ولأصابها القم . وافقني أن أبي لم يستطع أن يتم حجه في بعض المرات إذ أصيب بتقرس شديد في السويس وأنا عندئذ في السادسة من عمري ، وألزمه المرض الفراش عامين كاملين قلبي فيهما من الألم ألواناً حتى لا أزال حتى اليوم كلما ذكرت أبنيتي اقشعر جلدي . ولست أدري لأي سبب ارتبط هذا المرض في نفسي بالإيمان حتى لأحسبه نعم ما أفاض الله علي والذي منه ، ولا زلت منذ ذلك أومن بأنه لا بد أن يتلى الله المؤمن ليختبر إيمانه وأن للمرء لا بد نجاح ما سلم الإيمان في قلبه

وعندما اختارتني الجامعة لبعثتها حدث حادثان صغيران كان لهما في نفسي أبلغ الأثر : أولهما أنني قبل سفري رتبت كتيبي في صندوق كبير وبخبر وعي مني وضعت « المصحف » على قمة الكتب ، ورأى والذي ذلك عرضاً فسر سروراً لم أتصد إليه ، ولربما جاء بتوفيق من الله . وحدث إخوتي عمارأي ثالثاً « إن إياكم فلان سيكون الله داعماً معه وسيوفق في كل ما يعمل » فالزمه « ولم ذلك » فأجاب « لأنني لاحظت أنه وضع كتاب الله فوق كل كتاب » ثم إنني في يوم السفر فرجعت بهدية من والذي أوصاني أن أحفظ بها مدة غيبتي وأن أعود بها إليه ، وكانت تلك الهدية عبارة عن تعديل للشيخ العالم القشبندي الذي عاهدته والذي على الهدى . ولقد أخذت التنديل واحتفظت به نسمة الأعرام التي مكثتها بأوروبا وعدت وهو لا يزال إلى اليوم بين ملابس . ولا أستطيع أن أزعم أنني قد علقت به إيماناً خاصاً أو قوة معينة بل ولا فكرت في ذلك ، ولكنه نوع من الاطمئنان السليبي الريح . وقد اختلطت في نفسي قيمة الهدية بمعجتي لمهديها وإيماني به ، وكان لهدية الحادئين فضل دائم في ردي إلى الإيمان كلما نجحت لي الحياة .

ولقد اتخذ الإيمان في نفسي وجهة الإحسان إلى الغير ، حتى لأحسب أنني عاجز هجراً أصيلاً من بعض أحد ، فقد يقسوقلي وقد بلّغ لساني ، ولكنني ما عدت إلى نفسي إلا أحسست بفيض من التسامح لأستطيع دفعه . وأكبر ظني أن هذا الاتجاه كان أيضاً لإشباع من والذي ، ويسمح لي القراء أن أقص حدثاً طائلاً كان له في هذا الاتجاه أكبر الأثر

بل ولا غرضه بمواصلة القيام بشماثره كما تفرس في النفس مختلف الماديات بدوام مزاولتها ، وإنما هو إحساس قديم مكثت له في نفسي حوادث صغيرة كانت بيني وبين أبي

ولا أرى ضيراً من أن أقص طرفاً منها على القراء فتلك تجارب بشرية قد تكون أجدي في إلقاء بعض الضوء على مشكلة خطيرة هي مشكلة الإيمان من كثير من موسوعات علوم التوحيد والكلام ، ولها على الأقل ميزة الصدق النابض بالحياة ، وهي صادرة عن نفس فيها من القوة ما لا يصرقها عن أن ترد كبار الأمور إلى صغار الأشياء عند ما تؤمن أن تلك الحوادث الصغيرة هي الأسباب الحقيقية التي تتضاءل إلى جوارها كبرياء العقل ومغالطات الإحساس

عند ما أخذت أدرك علمت أن والذي قد بنى بأحد حقله « خلوة » لا منفذ لها غير الباب وأنه قد هجر زوجته وأبناءه أربعين يوماً ليقيم في تلك « الخلوة » بسبب الله فيها آناء الليل وأطراف النهار لا يرى أحداً ولا يراه أحد ، وإنما يحمل له الطعام من خصاص الباب . ولقد أثار هذا الخبر خيالي فكنت ألاحق أبي بالسؤال عنه ولكنه رجل كثر دم لسه فلم أحظ منه بجواب غير أن دافعه كان عبادة الله وكفى . ثم علمت أن الشباب كان قد ساقه في مهاويه فلم يجد عصمة خيراً من معاهدة أحد علماء الدين على التوبة إلى الله . وكان هذا العالم تقشبندي المذهب وكان رجلاً خيراً ، فلم يمد تأثيره على والذي حد توجيهه نحو تجنب الإثم ، وعبادة الله ، والإحسان إلى الناس ، وقراءة كتب الدين . ولكم من مرة حاولت أن أعرف شيئاً عن هذه الطريقة فكان أبي يرفض الإدلاء بشيء . مكتفياً بأن يخبرني بأن تلك أسرار لا يجوز أن بناج ، ومن غريب الأمر أنني علمت منذ ثلاثة أشهر فقط أن لفظة تقشبندي معناها النقش على القلب . واستنتجت من ذلك أن سر هذه العبادة هو أن يستشعر الفرد دأماً أن اسم الله منقوش على قلبه . ولقد لاقيت والذي منذ أيام فأخبرته فرحاً مسروراً أنني قد عرفت معنى اللفظة دون بحث عنه ، ولكن بتوفيق من الله ساقه إلى سوقاً . فدهش الرجل وقال : « هو هذا وهو سر العبادة » وإذن فقد خلا أبي لعبادة الله أربعين يوماً ، وتحرك خيالي لتلك الخلوة ، ولكنني لم يكثرت لي عن سرها ، واقتنعت بأنه لا يجوز لي أن أتطاول إلى معرفة هذا السر ، ولقد آمن أبي سنين طويلة بأنه قد نقش اسم الله على قلبه واتخذ من هذا النقش سبيلاً إلى محله منسياً وسائلاً ، وسمعت

من كرات عمر بن أبي ربيعة

صَدَقَ قَوْلُ بَلَلِيْسٍ

للاستاذ محمد دحيش شاكر

« قال عمر بن

أبي ربيعة » :

« لم أزل أرى كأنهم

( هي بنت سعد

الجزومية زوجة عمر )

أجزل النساء وأيا

وأصلهن مكسرا ،

وأقواهن على فيرة

قلبي سلطانا ، حتى

إذا كان منذ أيام

رأيت امرأة قد

استلمن ضمة ، وتهدك عنها جلدُها ، وعادت أنفي العقل  
يقبونها الذي يترها .

« وإن أنس لا أنس يوم احتلت عليها حتى دخلت إليها ،  
وقد تهيأت لي أجل هيئة وزينت نفسها وجلسها ، وجلست من  
وراء الستر ، فلما سلمت وجلست ، تركتني حتى سكنت ، ثم  
رفعت الستر عن جال وجهي بغطاء الأَبصار ، ثم رمت في وجهي  
تقول : أخبرني عنك أيها الفاسق ! أأنت القاتل كذا وكذا ؟  
تعني أبياتا لي ، فما زلت أقتل في الدُّرُوءة والفساد ، وهي  
تسبني علي وأنا مقيم عندها شهرا لا بدري أهل أين أنا ، ولا أدري  
ما فعل الله بهم . ولا والله ما صرنا على يوم إلا حبستها امرأة قد  
خلقت بغير قلب ، لا ألقاه من عنادها واستناعتها ، وإني لأنيتها  
بالسحر بعد السحر من حديث تمن عليه الموانس المتصبات  
في مراكب الزمن ، وأنا يومئذ شاب تنفجر العصبية من لساني ،  
ويثأل الغزل في عيني ، وهي يومئذ غادة غريبة لو نازعها النسيم ،  
فيما أرى ، لاستقادت له من دكها ولينها وقضاوة العيش .  
ولبت شهرا أقول وأحتال وأستزل عصبها برقي السحر ،  
حتى إذا قلت قد دانت ، انفلتت مصعدة قد تركتني شاخصا  
أنظر إلى صيد قد طار ، ثم أطرق ناظرا إلى سحر قد بطل فلما  
اشتد ذلك على استأذنتها في الخروج إلى أهلي ، وقد يشت منها  
ومن هواها ، فاستمت حتى قالت : « عيّن الله أيها الفاسق !  
بمدا أن فصحتي ؟ لا والله لا تخرج أبدا حتى تتزوجني ! »  
فتزوجتها وهي أحب النساء إلي أن أتزوج ، وما زلت معها  
وأنا لا أنكر منها شيئا ، وأقول الشعر تأخذهُ الألسن لتشيحه

سني أثرت في نفسي أبلغ الأثر ، فتحصنت منذ ذلك اليوم لسل  
الخير وآمنت أنه جزء من الإيمان حتى استقر بي الرأي إلى أن  
عون اللهموف وإسداء المعروف إلى الناس لا بد أن يخلقهُ الله  
بالخير على صاحبه ، ولا زلت حتى اليوم أعتقد أن بركة الله قد  
حلت بحال والذي منذ ذلك الحين . وذلك لأنه مال لم يطره  
بالزكاة غصب ، بل زكاه بالإحسان .

هذه هي عناصر الإيمان في نفسي ، اطمئنان إلى الجوهول ،  
وعدم تطاول بالعقل إلا ما لا يستطيعه ، وربط للأخلاق بالإيمان ،  
وتسامح مع الناس ، وعمل المعروف حيث نستطيعه . وأما منابع  
ذلك الإيمان فهي كما ترى لم تكن عاجة عقلية ولا إمارة  
عاطفية ، ولكنها حوادث صغيرة كانت أبلغ في تمرسه بالنفس  
من كبار الموسوعات وطوال الخطب

محمد مشور  
الحسامي

كان لوالدي نسمة إخوة وكان يحبهم جميعا حبا قلبيا صادقا  
حتى لقد كان يذهلني عندما يموت أحدهم أن أراه وهو الشيخ  
الكتوم لسره يكي بدمع حار ، وكان أسمر إخوته رجلا كريما  
متلافا ، وكان والذي يهتز في دخيلة نفسه لكرمه وإن أحزنه  
إنلافه لاله ، ولقد هدد هذا الإنلاف ثروته حتى أوشكت أن  
تضيع ، وكان والذي يحرص على أن يستغنى من تلك الثروة  
ما يستطيع ، وحدث ذات يوم أن ألح الدائنون بالمطالبة وكان  
الوالد يستطيع عندئذ أن يسكنهم ببعض ماله الخاص ولقد  
فعل ، وكنت عندئذ في السابعة عشرة من عمري وكأنت والذي  
ككافة الأمهات تحرص على أن يستغنى الوالد أمواله لأبنائه ،  
وكان أخي الأكبر ينصرها في الرأي فالتفتني بن والدي في  
الليل ناحية وأسر لي بنيتي طالبا إلى أن أخفي الأمر من  
والدني وأخي . ولقد رأيت في هذه الحركة ثقة بي رغم حداثة

إلى الآذان ، وأدخل بيتي فألقاها فلا أسمع منها قالت وقلت :  
فبكرُ بنى إغفالها لم يبلغها من الشعر ، فألح على النسب ،  
وأذهب كل مذهب في التشيب ، وأتبع النساء بعيني وقلبي ،  
وأقول ، فلا والله ما تبص لها قلب ولا تحرك لها جارحة ،  
ولقد أدخل عليها فإذا هي تلقاني ضاحكة لاهية ، حتى أقول :  
لعلها لم تسمع ! فأنادى مولاي وأملر عليه ، رهي بحيت تسمع  
ما أملر ، وأخلخل الإملاء بالشكوى والحنين وأرفعهما سوئي ،  
نعم أنهض ألقاها فإني أرى وجهها يريد أو يتممر ، فكان  
ذلك غيظي وشقوتي ، لا تزيدها الأيام إلا اتقاداً . ويكلمه  
كلاماً بغير نهي ! كم ذا أغيرها فلا تقار !

وأقبلت ذلك اليوم ، بعد مرجمي من الكوفة بشهر أو  
أكثر ، فاستنبلني جُوان ( هو ولد عمر من كلم ) فقال :  
« يا أبة ، أي ما فعلت بها ؟ » . قلت : « أمك ! يخبر يا بني »  
وعداها السوء . قال : « كلاً يا أبة ، وما أدري ما بها ، غير  
أنى ظلمت أياً ما استخبرها ، وهي خالية ، عما يريها أو يؤذيها ،  
فلا أسمع منها إلا ما تشده من شعرك

كثراً كمثل الخمر كان مزارجها

بالساء ، لا رفق ولا تكدير

فإذا وذلك كان ظل سحابة

فمستح به في المنصرات دبور  
« ثم تنظر إلى وتقول : يا جُوان ، امض لشأنك ، ولا  
تفسخ في صلاتك ، فرب هذه البنية ، لقد حملتك ووضعك  
وأنا أدعو الله أن يجتنبني الشيطان ، وأن يجنب الشيطان  
ما يرزقني ، فكنت أنت يا بني دعوتي ، فادع ربك يا جُوان  
لأمك التي حملتك رهناً على ومن .

فأبكت ما شئت على ما انقضى كل رسل منقض ذاهب  
لو يردّ الدمع شيئاً ، لقد ردت شيئاً دمعك السالك  
فأقول : « يا أماء لقد أفزعيني ! » فتقول : « اذهب  
يا بني » « لو ترك القطا ليلاً لنام » . ثم تشيح وتصرف ،  
ولا والله ما قدرت منها على أكثر من أن أسألها فتجيبني بمثل  
ما أخبرتك . فبالله ، يا أبة ، لا تدع أي موت بحمرة تنساقط  
عليها تنفسها ، ارحمها يرحمك الله .

ويذهب جُوان ويدعني لما بي ، وبأخذني ما حدث وما  
قدم ، وكيف ولم أنكر منك يا كلم شيئاً منذ رجعت  
من غيبتى بالكوفة ؟ وإني لأدخل عليها فتداعيني وتضحك لي  
وتذهب بي في لحوها مذهب ، ولا والله إن وقعت منها على مساءة  
تضرها أو تم تكتمه ، وكان الحياة قد منعت دونها غير النفس  
فهي لا تتغير . وهذا جُوان يقول ، فلئن صدق لقد كذبتني  
عيناي وكذب على قلبي ، وإن كاتم لقلوب وتقلب وأنا في  
في غفلة عن كبر شأنها وأسائها أو أذهب من ساعتى أدر في  
الدار أنظر ، فإذا كل شيء أراه قد لبس من ثم نفسي غلالة  
سوداء تشتت بيتي وبيته ، وإذا أيماننا اللواضي قد بُعثت في  
أعمال هلاهيل تطوف متضائلة في جنبات البيت وهي تنظر إلى  
نظرة الدليل الملوذ النبوذ ، وإذا كلم قد خرجت إلين كاللبوة  
النجارية ريمت أشبالها ، وإذا أنا أسمع هممة كائين الجريح  
تفقد في أذن من حيثما أصفيت ، وما هو إلا أن أرا في  
فرائس قد توكت على مرفقي ، والنشوة التي أخذتني تنقشع عني  
شيئاً بعد شيء . وبعد لأي ما ذكرت ما كان من حديث جُوان  
كما كان ، فنهضت من مكاني أطلب كلم في غربتها حيث هي  
من البيت .

وقصدت مقصورتها فإذا هي قد أجافت الباب ، فذهبت  
أفترحه وإن يدي ثابتي على أن تمتد خشية أن أطلع منها على  
ما يسودني ، وهي أحب إلي من أن أراها مغمومة أو مكروية ،  
على غير ما عودتني وعودتها ، فاستأذنها من ورأه فقالت :  
« مهلاً يا أبا الخطاب ، وبخير ما جئت » . فقلت لنفسي :  
« كذب والله جُوان وما كان كاذباً » . فلما فتحت لي الباب  
رأيت سنة وجه كالسيف الصقيل يبرق شباباً ورضى ، وقالت :  
« مرحباً بك يا عمر ، لو رأيت الساعة جاريتي وهي تدخل على  
ساعة تجرى تقول : سيدني أدركي مولاي فقد سمعت الناس  
ينشادون من شعر قاله اليوم ، وإذا فيه

ليس حب فوق ما أحببتُها غير أن أقتل نفسي أو أجن  
فاحفظه يا سيدتي من روعة المصيبين . فقلت لها : لقد  
وفي مولاك السوء أن ليس بينه وبين الناس إلا لسانه ولا  
يقتل مولاك نفسه أو يمن حتى يقتل الحمام نفسه على هديه  
أو يمن . »

لم أدر ما أقول ، فقد كانت كلماتُ جوان قد تشبَّحتُ لبعي ودوت في أذني ، فإأطقتُ صبراً أن أسألهما : « ما يقولُ جوان ؟ زعم أنك لا تزالين مهمومة لأمر يستخبرك عنه فلا تجبرينه ، ولقد مضت السفون بيني وبينك ، ولا والله ما علمتُ إلا خيراً ولا رأيتُ إلا خيراً ، وما قال إلا ما يجملني آسئ على ما كان مني إليك مما ساءك أو رابك » . وما كدتُ أتمُّ حتى رأيتها تنفض كالرشة الذعور أنزعته النبأة ، وبرقت فتخاذلت وغيرق صوتها فاتسطن ، فغاصرتها وصنبت بها إلى مجلس في البيت وجلست أتحسني بها حتى تهذا . وبعد قليل ما قالت : « أما إذا كان هذا يا أبا الخطاب فوالله إن كنتمك شيئاً » .

ثم أطرقت ساعة ، وأنا أنفذُها بصري أطلب فيب ضميرها ، ثم رفعت إلى بصصرها ونظرت نظرة الرتاب ثم قالت « إني محدثك يا أبا الخطاب عما كان كيف كان . هذه جاريتي ظمياء تدخل على كالمجنونة منذ أيام تقول : « سيدتي ، عين الله أن نكتمى على ما أقول » فأقول : « أمنت يا ظمياء ! ما برعك ؟ » فتقول : « لا والله ما يرعنى إلا أن أدع مولاتي توصم بين نساء قريش وبني غزوم ، ويتحدث أهل مكة أن أم جوان قد لقيت من البلاء كذا وكذا » . فأقول : « وييك يا ظمياء ! انظري ما تقولين ! » فتقول : « لا والله إن هو إلا الحق ، رأيت إلى تلك البيضاء الصهباء ذات العينين التي ما زالت تجيئني منذ أيام ، لقد قالت لي في عرض حديثها : يا ظمياء لقد جئت مكة من بلاد بعيدة ، وإني لأسمع الناس على الطريق يذكرونها ويذكرون بيت الله الحرام ، فما ازددت إلا شوقاً أن أرى بيت الله الحرام ، وأن أرى الناس يجاورون هذا البيت المتيق ، وما وقع في قلبي إلا أن أرى دنيا لم أرها ، وقوماً كتب الله لهم أن يكونوا أطهر وأتقى الناس لله . ولقد خرجت من بلادى وهي أبفض إلى ما أرى من فجور أهلها وانفاسهم في كل إثم وباطلهم وكنت أرى أشد أهلنا فجوراً ولجاجاً أولئك الشعراء . ثم دخلت بلادكم وطرفت فيها ما طوفت حتى إذا انتهيت إلى أرضكم هذه ، لم أزل أعرف الشعراء فيكم أفجَرَ وأفسق وأسل » .

« فأأطقت أن أصبر يا مولاتي حتى قلت : « مه يا صهباء ، وكنت . وابن بنو الأصفر من بني يرب ؟ فإن شاعر العرب ليقول ، وإن قلبه لأطهر من أن يدنس ما يدنس به شعراؤكم أنفسهم يا بني الأصفر . وهذا مولاي وهو أعزل العرب لساناً ،

وما علم أحد عليه سوءاً . قالت صهباء : ما أحسن ما رباك أهلك يا ظمياء ! وأحسنى ما شئت ظنك في مولاك قلت : تبا لك . وإنك لترينين إلى مولاي منذ اليوم ، فلا والله لقد كذبت وخسئت أيها الصهباء الطارئة التي لا مولى لها . فقالت صهباء : كذبت وخسئت ! ما أصدق ما قال مولايك « من دخل ظفار سحر » ! إراك لفريرة يا ظمياء ، وأنا الصهباء الطارئة من بنات الأصفر لأخبر مثلك بغيب مولاك عمر . قلت : كيف قلت ؟ قالت : إنه الحق ، وإن لمولاك غيباً عميت عنه عينك وعين مولايك ، وهو أحرص عليه من أن يطلع على خبيته أحد . قلت وأنت لك أيها الغريبة ؟ قالت : دعي عنك ، فهو الذي أحذثك .

« ثم دنت مني كالتي تسر إلى وقالت : ما كذبك أيها الحلوّة الغريبة ، فهذا مولاي قد ذهب إلى الكوفة منذ زمن ، ألم يكن ذلك ؟ وهذا مولاي قد نزل بأفسق خان الله وأخبرهم عبد الله بن هلال الحيرى الذي يزعم أنه صديق إبليس وخسئته وصاحب مرء ، وإذا هذا الفاجر يخرج إليه قينتين من أجل خلق الله وأحسفه يفنيانه بشعره حتى ذهب عقله ، وإذا هو يدبر مولاي يوماً بعد يوم على أن يقتلن بها ، حتى إذا بلغ منه ما أراد ضمن له أن تكونا بالطائف بحيث لا تراهما عين بشر . لا تنظري إلى كالمرباة ، فهذا الخبيث ابن هلال قد ألقى الطاعة إلى إبليس حتى عظم أمره عنده فهو يُخدرمه ويُناطقه ، وحتى لقد ترك له صلاة المصرت قرباً إليه ، وحتى أباحه إبليس أن يأمر الشياطين تتلمس بيدي آدم ، ومن شرطه عليه أن لا يزال أبداً يجمع بين الرجال والنساء في الحرام . وهو وجل كما يقول مولاي ... » قالت ظمياء : وإن لك لمولى يا صهباء ؟

قالت صهباء : دعي عيني حتى أتم يا ظمياء .. هو رجل قد أوتى من الفؤوق على السحر والقدر على تلبس أنظار الناس ما لم يجتمع لأحد من شياطين السحرة قبله ، فلو هو مس وجه امرئ بمذبة الأزرق ذى الوشى لم تأخذ عين بشره وهكذا هو يفعل بمولاي وصاحبتيه حتى لا يراهم الناس . قالت ظمياء : وإن هذا يكون ؟ قالت صهباء : نعم ! وليس في الأرض أحد يطيق أن يدرا شر هذا الشيطان الخبيث إلا مولاي . قتالت لها ظمياء : ولكن أنت لمولاي يا صهباء أن يسكون عرف الذي خبرتني به إن كان ما تقولين من

حتى أعمت الأمم عن النظر في مصالحها العامة ، وآثرت عليه النظر في مصالحها الحزبية ، وحتى ثارت في كل أمة خصومات وخلافات خطيرة تفرق كلمتها ، وتقضى على الأخضر واليابس فيها ، لأن الحكومة تقوم فيها على أساس الحزبية ، فكل حزب يعمل كل ما يوصله إلى الحكم ، ويرى مصلحته في هذا فوق غيرها من المصالح

وقد أخذنا نعلمنا الحديثة في الشورى عن تلك الأمم ، وقلدناها في تلك السياسة الحزبية العمياء ، فضللنا وجه الصواب كما ضلت ، وأخذنا نتخبط في حكمنا مثلها تخبطا مميبا ، حتى اضطربت أمور الحكم فينا ، وحرمتنا من الاستقرار الذى تفرغ فيه لمصالحنا

ولو رجعنا إلى السيرة النبوية لوجدناها قد سنت نظام الشورى على وجه يسود فيه التسامح ، ولا ينال فيه التمسب للرأى إلى ذلك الحد المعب ، فسارت سياسة الحكم في هدوء ، واستقر الأمر استقراراً ظهر فيه الحق بوضوح ، فلم يمه عن أهين الناس تمسب للرأى ، ولم يصرف الأمة عن مصلحتها العامة مثل ذلك التنالى في الخلاف

## نظام الشورى فى الإسلام

بين الكثرة والقلّة

للأستاذ عبد المتعال التميمي



كم فى السيرة النبوية من أسرار تشريعية لو رجعنا إليها لأخذنا عن الاستعانة بغيرها من التشريعات المنحرفة ، فى عصر ضلت فيه السياسة ضلالاً بعيداً ، وطغت فيه التمسبات الحزبية

« فما عالسكت أن قلت لكلم : ما تقولين ؟ وأى شئ هذا الذى كان بين مطرفى الساج والثامن ؟ قالت كلم-رويدك يا عمر ، إما أن تدعى أمّ وإلا والله لاسمعت منى شيئاً حتى يقطع الموت بينى وبينك . قالت : ويحك ، فأعني :

قالت كلم . « ثم إنى سألت صهباء عن سيدها ومولاها ، فقالت إنه رجل صالح يسبح فى الأرض ، وإنه قد جاء خبيج حبيجته وهو على سفيره بمد قليل يضرب فى البادية حيث يشاء الله . قلت لها : أو يعلم مولاك من أمر ما يحدثنى عنه أكثر مما قلت ؟ قالت : لأأدرى يا مولائى ، فإنه ربما دعانى ويحمل يحدثنى ويحدثنى حتى أقول لن يسكت ، وما هو إلا كخاطفة البرق حتى يقطع فلا يتكلم . فرجعت فسألته فلا والله ما يزيد على أن ينظر إلى ويبقى . قلت لها : أو تستطيعين يا صهباء أن تأتينى بمولاك ، ولك عندي مائة دينار ؟ كلاً لا نلت من مال مولائى شيئاً ، ولكنى سأديره حتى يأتىك لما أرى فى وجهك من الخير والسعد

عمرو محمد ماسك

( البقية فى العدد القادم )

مولائى مما سمعته منه ؟ قالت ظمياء : فحدثت منى ونظرت فى عيني بعينين مذعورتين يخفق فيهما مثل شقائق البرق ، ثم قالت : ما من شئ يفعله هذا الخبيث ابن هلال حيث كان إلا كان عند سيدي خبره . فقالت لها ظمياء : ويهبي ! أحقاً قلت يا صهباء ؟ قالت : وى ، أو كنت كاذبة عليك وما أنا وأنت إلا من هذه الجوارى الغربيات المستضعفات ؟ وما لك تكذبي بى وإن عندى من برهان ذلك ما لا رقب لك برده . قالت ظمياء : بالله ! قالت : بالله ، فاذهبى إلى صوان سيدك فى هذه الغرفة التى إلى جوارنا ، وأخرجى من بين المستطرف الساج والثامن من ثياب مولاك ما يجدن

[ قالت كلم امرأة ابن أبى ربيعة ] :

« فهبت ظمياء فدخلت إلى صوانك ( تنى عمر ) فأخرجت شيئاً رجعت به إلى صهباء . ثم إذا هى تدخل على وتقص قصة ما كان ، فأمرتها أن تأتينى بصهباء لأسمع ما تقول ، فروت لى كل ما حدثتك به يا أبا الخطاب . ( قال عمر بن أبى ربيعة ) :



بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في رجوعهم ، ورامم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا

ومثل هذا لا يحمي من عبد الله بن أبي وإن وافق فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق ليس في كلمة يقال ، ولا في فعل يظهر بين الناس ، بل لابد مع هذا من صدق النية ، وحسن المقصد ، وقد عول الإسلام على النية في الأقوال والأفعال . أكثر من التمويل على الأقوال والأفعال في ذاتها ، حتى أثر فيه ذلك القول المشهور : نية المرء خير من عمله

فلما سمع أولئك الشبان ذلك القول من عبد الله بن أبي لم يأبهوا له ، واجتهدوا في حمل النبي صلى الله عليه وسلم على رأيهم ، وقال حمزة وسعد بن عباد والتميم بن مالك وطائفة من الأنصار : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن أعداؤنا أننا كرهنا الخروج جيفاً عن قلوبهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا . وزاد حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب ، لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة . وقال التميمي : يا رسول الله ، لا نخرجنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لِمَ . فقال : لأنني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صدقت . وقد استشهد رضي الله عنه في هذه الواقعة

وقد نظر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد أن الذين يرون من أصحابه رأى أولئك الشبان أكثر من الذين يرون رأيه ، فبذل طائفاً على رأى ذلك الفريق الذي كان أكثر عدداً ، وترك رأيه إلى رأيهم ، وهو الرئيس الأعلى ، والرسول المبعوث إلى الناس كافة ، لأنه رأى أن من وافقه في الرأي أقل عدداً من الفريق الأول ، فلم ينظر إلى شخصه في ذلك الخلاف ، وإنما نظر إلى التشريع الذي يجب أن يُسنَّ في تلك الحادثة من الشورى التي شرعها في الإسلام ، ليستقيم المسلمين أمرهم فيها ، ولا يفتقدوا في ذلك المنصب الإجماع للرأي ، فتقلب نعمة الشورى نقمة ، ويضل الناس بها سبيل الحكم الصالح ، وبهذا علم السلون أنه يجب عند اختلاف الرأي في الشورى أن ينزل الفريق الأقل عدداً على رأى الفريق الأكثر عدداً ، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأن مخالفة الكثيرة أشد ضرراً ، وكما يجب تقديم النافع على الضار ، يجب تقديم الأخف ضرراً على الأشد ضرراً

وقد تم ذلك في غزوة أحد من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت في السنة الثالثة من الهجرة ، فقد وقع فيها خلاف بين المسلمين انقسموا فيه إلى فريقين : أحدهما يمثل الكثرة ، وتأييدها يمثل القسلة ، 'فَحَلَّ' الخلاف بينهما على وجه لا أثر فيه للتعب ، ولا يمكن أن يكون هناك أثر منه في وجوه الشورى

وكان ذلك الخلاف أن رجلاً من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ، لما كانوا يسمونه من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من شهدا ، وعظيم ثوابه ، فكانوا يودون غزوة ينالون فيها مثل ما ناله أهل بدر وإن استشهدوا ، فلما سار المشركون في غزوة أحد إلى المدينة رأوا أن يخرجوا منها لقتالهم ، وعرضوا رأيهم هذا على النبي صلى الله عليه وسلم

فقام صلى الله عليه وسلم ليثته فرأى رؤيا ، فلما أصبح قال : والله إني قد رأيت خيراً : رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في ذباب سيقي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في سيق فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وإني رأيت أن تقيموا بالمدينة وتدعوم يتركون حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم ورؤوا من فوق البيوت

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنائين من كل ناحية ، وجعلوا فيها الآطام والحصون ، فكانت حصناً قوياً لأهلها ، وكان الرأي أن يقيموا فيها ، كما فعلوا بعد ذلك في غزوة الأحزاب ، فلم يبق المشركون على اقتحامها على المسلمين ، وكانت جموعهم فيها أكثر من جموعهم في غزوة أحد

فقال أولئك القوم الذين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ، وغالبهم أحداث لم يمكنهم أن يشهد تلك الغزوة الكبرى ، فأحبوا لقاء العدو وطلبوا الشهادة فأكرمهم الله تعالى بها : يا رسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جبناً عنهم وضعفنا

وقد رأى عبد الله بن أبي رئيس المنافقين تلك الرغبة الصادقة في القتال من أولئك الشبان ، فساء ذلك منهم ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه ، فقدمهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا

في الناس بالخروج إلى العدو ، أن يرجع حتى يقاتل . فيأله من عهد كريم بلغ فيه حكم الشورى غاية الكمال ، ولم تفرق فيه الأمة إلى أحزاب متخاصمة على الحكم ، بل ظهرت فيه كتلة واحدة ، إذا اتفق أفرادها فرائدهم المصلحة العامة ، لاصلاحه حزب من الاحزاب ، وإذا اختلف أفرادها فرائدهم تلك المصلحة أيضا ، لأنهم لا يتقسمون إلى أحزاب يتنافس بعضها بعضا ، ويحلمهم التعصب لها على نسيان مصلحة الأمة في نبذ التفرق ، وإيثار الوفاق على الخلاف

وإذا نخر في عصرنا قوم بنظام الشورى عندهم ، فهذا نظام الشورى عندنا قد بلغ غاية الكمال ، وخلا من الميوب التي يرى بها حكم الشورى في عصرنا ، وتجميل بعض الناس بفضل عليه الحكم الاستبدادي ، وأين تشريع البشر من تشريع الله تعالى ؟ فلا تشريع أكل من تشريعه ، ولا حكم أعديل من حكمه ، فتبارك الله أعديل الحاكمين ، وأحسن الخالقين

عبد المتعال الصعيدي

ولما نزل النبي صلى الله على رأى تلك الكثرة صلى بالناس الجمعة ، ثم وقفهم وأمرهم بالجد والاجتهاد في التأهب للقتال ، وأخبرهم بأن لهم النصر ماصجروا ، وفرح الناس لذلك فرحا شديدا ، ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالي وهي القرى التي حول المدينة من جهة نجد ، فدخل حجرته وليس عُدته ، وتقلد السيف ، وألقى الترس وراء ظهره

وقد اصطف الناس مابين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير : استكبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج ، وقلتم له ما قلتم والوحي ينزل عليه من السماء ، فردوا إليه الأمر ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته ، وتقلد سيفه ، فندموا جميعا على ما صنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، وفي رواية — ما بدا لك — وفي أخرى — فإن شئت فاقم

وإنه لإيثار جميل من تلك الكثرة ، ولم يحلمهم عليه إلا بدء النبي صلى الله عليه وسلم قبهم بإيثار وأبهم على رأيه ، حفظا للوحدة ، وحذرا من الفرقة ، وإذا كانت فضيلة الإيثار جملة فيما يملك الإنسان من مال ، فكيف يكون جالها فيما يعز به من رأى ، والرأى عند الإنسان أشرف من المال ، وكف ضحي بالمال في سبيل الرأى ، ولكن فضيلة الإيثار كانت ظاهرة ذلك المهد النبيل ، فلا قرو أن تبادل تلك الكثرة النبي صلى الله عليه وسلم بإيثارا بإيثار ، وأن تترك رأيا إلى رأيه طائسة مختارة ، بعد أن جاهدت في تأييده ما جاهدت ، وناضلت في الدفاع عنه ما ناضلت

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن رأيه كان هو الأرجح قبل أن يؤثر رأيهم على رأيه ، وقبل أن يلبس لأمته ويتقلد سيفه ، فأما بعد ذلك فقد اتفق رأيهم جميعا على الخروج ، فإذا رجعوا عنه لم ير الأعداء إلا أنهم جبنوا عن قتالهم ، فيحلمهم ذلك على الطعن فيهم ، وبسطهم قوة معنوية يكون لها أثرها في قتالهم فقال لأوئك الذين تركوا رأيهم إلى رأيه في القعود بالمدينة : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضمها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . وفي رواية — لا ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذن

## الانسانية تنشد عالما جديدا

تصوره لك هذه الكتب في جرأة وحرية وقوة وأسلوب جديد رائم اصطلمه المؤلف في الأدب العربي الحديث

- ١ - البعث أو مذهب المهزم ٢٠
- ٢ - هل أنزلت حضارة أوربا ط ١٠
- ٣ - نواويس بالعدل ١٠
- ٤ - مع عقلاء الانس والمجانين الجوى ٦
- ٥ - أباصي أو فلسفة الحياة ١٠
- ٦ - محاكمة الزمن أطول عيين ١٥

بقلم الأستاذ محمد العماوى ،

الناشر مطبعة الفكر الحديث بالمسالية ومكتبة النهضة المصرية  
بشارع عدل بالقاهرة

جامدة ، لألوان تصور ، ولا شخوص تمير . . . أدركنا سر الإعجاز في تمير القرآن .

والأمثلة على هذا الذي نقول هو القرآن كله ، حينما تعرض لقرض من الأغراض التي ذكرناها : حينما شاء أن ينبر عن معنى مجرد أو حالة نفسية أو صفة معنوية أو نموذج إنساني ، أو قصة ماضية ، أو مشهد من مشاهد القيامة ، أو حالة من حالات التعميم والمذابح ؛ أو حينما أراد أن يضرب مثلاً في جدل ، بل حينما أراد هذا الجدل إطلاقاً ، واعتمد فيه على الواقع المحسوس ، أو التخيل المنظور .

وهذا هو الذي عنيناه حينما قلنا : « إن التصوير هو الطريقة المفضلة في تمير القرآن » . فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حينما اتفق . إنما هو مذهب متمرر ، وخطة موحدة ، وخاصة شاملة . يفتن في استخدامها على طرائق شتى ، وفي أوضاع مختلفة . ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة . قاعدة التصوير .

ويجب أن نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير في القرآن . فهو تصوير بالألوان ، وتصوير بالحركة — عن طريق التخيل — كما أنه تصوير بالتميزة تقوم مقام اللون في التمثيل . وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، وإيقاع الجمل ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان . وهو تصوير حي متفرع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات . فاللما نرسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية ، أو في مشاهد طبيعية تخضع عليها الحياة . . . والآن نأخذ في ضرب الأمثال

١ — يريد أن ينبر عن معنى : إن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ولن يدخلوا الجنة إطلاقاً ، وأن دخولهم فيها مستحيل . وهذه هي الطريقة الذهنية للتمير عن هذه المعاني المجردة ؛ ولكن أسلوب التصوير يبرغها في الصورة الآتية : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يابج الجبل في سم الحياط »

## النصوير الفني في القرآن

للأستاذ سيد قطب



التصوير هو الطريقة المفضلة في تمير القرآن فهو يبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ، وعن الحوادث والشهد المنظور ، كلها

سواء في طريقة التعمير المحسوس . وإنه ليرتقي بالسورة التي رسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية بحمة مرئية . فأما الحوادث والشاهد والقصص ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أصاب إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل . فإيكاد يبدأ العرض حتى ينجمل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول ، الذي رقت فيه أو ستمتع ، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات ، وينسى السمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يرض ، وحادث يقنع ، وأمر يكون :

فهذه شخوص تروح على السرح وتنشدو ، وهذه سمات الانفعال بشي الوجدانات المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث ؛ وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة ، فتتم عن الأحاسيس المضرة . . .

إنها الحياة هنا . وليست حكاية الحياة فإذا ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنساني أو الحوادث المروى ؛ إنما هي ألفاظ

المدارك ، ويصل كل منها إلى صورة حية مع اختلاف الأفهام !  
٣ - ويريد أن يرسم نموذجاً إنسانياً للمكابر المماند في كل  
زمان ومكان . فإذا هو يرسمه في يسر وسرعة ودقة على هذا  
النوال :

« ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ، فَنَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ .  
قَالُوا : إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ » ١  
أو :

« ولو نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ ، فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ .  
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ » ٢

فيبرز من خلال هاتين الصورتين ، نموذج إنسانى موهود .  
لهؤلاء الذين يلجئون في المكابرة على الرغم من كل برهان . ولكن  
القرآن لا يقول كهذا الذى تقول : يلجئون في المكابرة على الرغم  
من كل برهان - إنه يرسم لهم صورة شاخصة أوضح من كل  
تعبير ، لأنها تلمس الحس والضمير .

٤ - ثم ها هو ذا يصور حادثاً وقع : مشهداً من مشاهد  
الهزيمة . فيرسم الشهد كاملاً يبرز فيه الحركات الظاهرة ،  
والانفعالات المضرة ، ونلتقي فيه الصورة الحية بالصورة  
اللفسية ، كأنما يُمَثِّلُ الحادث من جديد ، ويقع مرة أخرى مكان  
وقع في المرة الأولى ، دون أن يُغفل منه قليل ولا كثير :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ  
جُنُودٌ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ  
زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا .  
هَٰذَا الَّذِي ائْتَمَّرُوا لَمَّا هَلَكُوا مِنْكُمْ لَئِيْلَ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ  
الْمُنَافِقُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا  
غُرُورًا . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ : يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ،  
فَارْجِعُوا . وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ : إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ  
- وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ - إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا » .

فأية حركة نفسية أو حسية من حركات الهزيمة ؛ وأية سمة  
من سمات الموقف الكثيرة ، لم يسجلها هذا الشريط الدقيق  
التحريك المساق لحركة الموقف الأصيل ؟

وبدءك رسم بخيالك مشهداً لتفتِّحَ أبواب السماء ، ومشهداً  
آخر لولوج الحبل القلبي في قلب الإبرة الصغير . « ويختار من  
أسماء الحبل القلبي اسم « الجمل » خاصة في هذا المقام ١ » . ويدع  
للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالمشاهد ما شاء له التأثير ،  
ليستقر معنى « القبول » ومعنى « الاستحالة » في أعماق النفس ،  
وقد وردا إليها من طريق الدين والحس - تخيلاً - رعباً  
إليها من منافذ شتى ، لاسيما منفذ الذهن وحده ، في سرعة  
الذهن التجريدية .

٢ - ويريد أن يوضح حالة نفسية لترزع العقيدة ، حيث  
لا يستقر الإنسان على يقين ، ولا يحتمل كل ما يصادفه من  
الشدائد في سبيل عقيدته القوية ، مبتعداً بها عن ملاسبات  
الحياة اليومية ، مرتفعاً بها عن مقاييس الريح والخسارة . فإذا  
هو يرسم لها هذه الصورة المحسوسة .

« ومن الناس من يهدى الله على حرف ، فإن أصابه خير  
اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا  
والآخرة . ذلك هو الخسران المبين »

إن الخيال ليكاد يحجم هذا « الحرف » الذى يهدى الله عليه  
هذا « النموذج » من الناس . إنه يتخيل الاضطراب المادى لهم  
وهم يتأرجحون بين التبات والانتقال ، وإن هذه الصورة  
لترسم حالة التزعزع النفسى ، بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع  
لأنها تنطبع في الحس ، وتتصل منه بالنفس

وإني لأذكر الآن تلك الصورة التى ارتسمت في خيالى  
وأنا طفل صغير ، أقرأ القرآن في المدرسة الأولية ، حينما وصلت  
إلى هذه الآية . لقد خيل لى رجل على مكان مرتفع ذى حرف ؛  
فهو قائم بصلى ، ورجلاه لا تثبتان على حرف المكان ، فهو  
بتأرجح في كل حركة ، وهو معرض للسقوط في أى لحظة !

ترى يمد تصورى الآن كثيراً عن هذه الصورة الساذجة ؟  
ما أظن . فالاختلاف الذى طرأ ، هو مجرد علمي اليوم ، بأن هذا  
مثل يضرب لا حقيقة تشهد .

وذلك هو إعجاز التعبير ، الذى تنصارب في إدراكه شتى

الجراد الأمهود يساعد على تصور هذا المشهد العجيب — وهذه الجوع، تسرع في سيرها نحو الداعي، دون أن تعرف لم يدعوها، فهو يدعوها إلى « شيء نذكر » لا تدريه « خشمًا أبصارهم » وهذا بكل الصورة ويعطيها السمة الأخيرة . وفي وسط هذا التجمع والإسراع والخشوع « يقول الكافرون : هذا يوم عسر . فإذا بقي من المشهد لم يشخص بعد هذه الميارات القصار ؟

٧ — فإذا طرق القرآن موضوع الجدل حول إحياء الموتى مثلا ، صاغه في قالب التصوير المؤثر ، ولمس به الحس والوجدان ، فيها ترى العين وفيها يستشعر الضمير :

« الله الذي يرسل الرياح ، فتثير سحابا ، فيبسطه في السماء . كيف يشاء ويحمله كسفا ، فتري الودق يخرج من خلاله ؛ فإذا أصاب به من يشاء من عباده ، إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمُسَلِّسِينَ . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف ينجي الأرض بعد موتها . إن ذلك لمحبي الموتى ، وهو على كل شيء قدير .

هكذا مشهد بعد مشهد : إرسال الرياح . إثارة السحاب . بسطه في السماء . جمعه متراكما . خروج المطر من خلاله . نزول المطر ، استبشار من يصيبهم بعد يأثمهم لإحياء الأرض بعد موتها ... لينتقل من هذه المشاهد المتتابعة بعد استعراضها للعين والخيال ، وبعد تركها تؤثر في النفس على مهل إلى : « إن ذلك لمحبي الموتى وهو على كل شيء قدير » في أنسب المحطات النفسية بهذا التقرير

\*\*\*

هذه نماذج قليلة لطريقة القرآن العامة في التعبير عن جميع الأغراض ، سواء كان الغرض تبشيرا أو تحذيرا . قصة وقعت أو حدثا سيقع . منطقا للاقناع . أو دعوة للإيمان . وصفا للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى . تمثيلا لحسوس أو ملموس . إبرازا لظاهر أو لضمير . بيانا لخاطر في الضمير أو لشهد منظور .

هذه الطريقة للوحدة . هذه القاعدة الكبيرة . هي : « التصوير » في أرق آفاق التصوير .

سبح قطب

٥ — وهذا مشهد واحد من مشاهد القصص الكثيرة ، مشهد في قصة الطوفان :

« وهي تجري بهم في موج كالجبال » وفي هذه اللحظة تنبه في نوح عاطفة الأبوة . فإن هناك ابنا له لم يؤمن ، وإنه ليعلم أنه مفروق مع المفرقين . ولكن لها هو ذا الموج يطغى ، فيتغلب « الانسان » في نفس نوح على « الشيء » ويروح في لهفة وضراعة ينأى ابنه :

« ونادي نوح ابنه — وكان في معزل — يا بني اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين .

ولكن البُنية العاقلة لا تحفل هذه الماططة ، والفتوة المبرورة تعتمد على القوة الشخصية .

( قال : سأوى إلى جبل يصمى من الماء . قال : لا حاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ) .

وفي لحظة تتغير صفة المشهد في تعبير خاطف ، بصور الموجة المائية تطفئ على كل شيء : ( رحال بينهم الموج . فكان من المفرقين ) .

إن السامع ليمسك أنفاسه في هذه اللحظات القصار : « وهي تجري بهم في موج كالجبال » ونوح الوالد الملهوف ، يبعث بالنداء نلوالنداء ، وابنه الفتى المفرور ، بأبي إجابة الدعاء ، والموجة المائية تحسم الموقف في لحظة ؛ فكان من المفرقين » .

وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية — بين الوالد والمولود كما يقاس بمداه في الطبيعة ، حيث يطغى الطوفان ، على القدرى والوديان وإيهما لمقياسان متكافئان !

٦ — والآن فإلى مشهد من مشاهد القيامة :

« يوم يدع الداع إلى شيء نُكُور . خُشَمًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مُهْطِلِينَ إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر .

فهذا مشهد من مشاهد الحشر مختصر سريع ، ولكنه شاخص متحرك ، مكتمل السمات والحركات : هذه جوع خارجة من الأجداث في لحظة واحدة كأنها جراد منتشر — ومشهد

ميدان الأوبرا . مصر دار الكتب الأهلية تليفون ٤٩٥٦١

بمناسبة العام الهجري

نقدم فهرست من مختلف الكتب ببعض محتوياتها

- |    |  |     |  |
|----|--|-----|--|
| ١٥ | سيرة النقاد  | ١٥  | منار الرشيد الأستاذ إبراهيم السيد إسماعيل                  |
| ١٥ | حفل في النيران لانتاد                              | ١٥  | تفسير سورة الفاتحة للأمام انصار الراوى ( مجلد )            |
| ٢٠ | عهد الشيطان توفيق الحكيم                           | ٨   | أسرار النشأين وطرق مكائهم                                  |
| ٢٠ | سلطان الظلام                                       | ٣٥  | رسالة الهناء للمرى شرح الأستاذ كامل كيلانى                 |
| ١٠ | النفقة المحمود بك نيدور                            | ٢٥  | المرأة ومركزها الاجتماعى فى الدولة للأستاذ محمد البندارى   |
| ٢٠ | صورة جديدة من الأدب العربى لكامل كيلانى            | ٣٠  | مناظراتى فى أوروبا المحلة الأستاذ عبد النعم حسن            |
| ٢٠ | اعتقادات الغزالي للدكتور عبد السلام البيرى         | ١٥  | حدث فى باريس الأستاذ أحمد عطية الله                        |
| ١٥ | هكذا أغنى الشاعر محمود حسن إسماعيل                 | ٧   | الدهاء ذكوة سعاد منسى                                      |
| ١٥ | الاستمتاع للأستاذ سلم سنده                         | ١٢  | ضجعة العروس للأستاذ إبراهيم عز الدين                       |
| ٧  | كيف تتجلى فى الحياة لأحمد أبو الماهر منسى          | ١٢  | المناكحة قيسها الطيبة وفومها الفذاية للأستاذ عز الدين فراج |
| ١٠ | أشواق للأستاذ محمود أبو الرنا                      | ١٢  | حديثات لطلوبات للأستاذ عز الدين فراج                       |
| ١٨ | الذنون الجميلة للأستاذ محمود فؤاد                  | ١٥  | قصيدة الشارح من وضع الصربية لفضيلة الشيخ محمد منير مهران   |
| ٥  | رسائل الوطواط جبركان العلامة رشيد الدين الوطواط    | ١٥  | الوحديات للعلامة محمد فريد وحدى                            |
| ٥  | أثر الترقا فى تحرير الفكر البشرى لعبد العزيز جاووش | ١٠  | ديوان أبو نواس شرح الأستاذ محمود كامل                      |
| ١٠ | اضطراب لاندوف اليونانى بلوطرخوس                    | ١٠  | تايخ حرب فرانسوا وألفا لاط أبسى                            |
| ١٥ | المتساوى للأستاذ أحمد لاشين                        | ١٥  | حديثات أبو السلاء شرح الأستاذ كامل كلالنى                  |
| ٥  | فن البيع وتجارة التجارة                            | ١٠  | حاملت لتكبير تعريب الأستاذ سامى الجريدى                    |
| ٥  | الوردة البيضاء لمحمود متولى                        | ١٥  | خفة فى سيارة للأستاذ سامى الجريدى                          |
| ٣  | الصدى الحزين لتفريق سكر                            | ١٠  | الرسائل الفاتمة  |
| ٥٠ | السدة الزوجة وضع زوجة                              | ١٠  | ألف ماء الكيمياء   |
| ٨  | بوايق للأستاذ أبو بكر لافلوطنى                     | ١٢  | ألف ماء التجارب الكهربائية                                 |
| ٢  | الحريثات الرياضية                                  | ٣٠  | زهره العمر لتوفيق الحكيم                                   |
| ٢  | التحريثات الفرنسية                                 | ١٥  | نوحى السيرة للأستاذ أحمد التاجى                            |
| ٣  | حديثات الميرون لمحمد إسماعيل إبراهيم               | ٣٠  | رحلات لعبد الوهاب عزام                                     |
| ٢٤ | الأسماء والصفات للبيهقى                            | ١٠  | من الأسماء للأستاذ عبد العزيز سامى                         |
| ٨  | أدب الدنيا والدين                                  | ١٠  | فلسفة الكذب للأستاذ محمد مهدى علام                         |
| ٨  | تاريخ الخلفاء الراشدين                             | ٣٠  | على أمثال المذهب المادى أربعة أجزاء لعلام محمد فريد وحدى   |
| ٥  | الانسان والدنيا                                    | ١٠٠ | بالاجد لماروس مرنى آخر طبعة                                |
| ١٥ | مئذنة فنون الحرب ليوثرمانى مصطفي حلى ( مجلد )      | ١٠٠ | مجانى الأدب ستة أجزاء                                      |
| ١٥ | تاريخ الطبرستان للأستاذ محمد على محبوب             |     |  |
| ١٥ | التجاة فى الحكمة للمنطقية والألفية للرئيس ابن سينا |     |  |
| ٢  | مضان فى السودان لمحمد صالح                         |     |  |
| ٥  | ذلك الجى الخمسى لطاهر الجبلوى                      |     |  |
| ٨  | هنرى القاسم للأستاذ عبد الرحمن فهمى                |     |  |
| ٣  | النصن التلغرافية للأستاذ مهران فريج                |     |  |

وأثره المعارف المتراصة لمرآة بسيمى زكى

المجلد الأول من دائرة المعارف فى التزل الحديث

المجلد الثانى من دائرة المعارف فى الرياضة والصحة والجمال

المجلد الثالث من دائرة المعارف فى الصناعات المنزلية

المجلد الرابع من دائرة المعارف فى الطبخ العالمى

جميع الرسائل والحوالات والشيكات ترسل باسم مديرها رسمى فليل

( يضاف ٣٠ فى ثلاثة مصاريف إرسال )



# شهادة كربلاء

للاستاذ محمود الخفيف



وَأَخْبَسُ دُمُوعِي فَكَمْ دَامَتْ نِيَّ  
صُرُوفُ الزَّمَانِ فَلَمْ أُجِرْ  
فَتَى هَاشِمٍ يَا غَلِيْلِي لَهُ  
جَرَى دَمُهُ أَهْمَرًا وَانْتَشَرَ  
رُفُوعُ كَلْبَةٍ سَبَطَ الرَّسُولُ  
وَبَشَّرَ قَائِلُهُ وَانْتَحَرَ  
وَهَامَتُهُ مِثْلُ رَأْسِ الْجُرُورِ  
حَلَّى كَتَّ جَاوِرِهِ نَزْهَرَ  
حَلَّى قَمِيهِ قُبَلَاتُ النَّبِيِّ  
وَفِي مِحْجَرِيهِ الرُّضَا بِالْقَدَرِ  
حَلَّى الدَّهْرِ رُزْءَ لَعْمَى حَبِيدٍ  
وَبَيْنَ قَدَمِ الْعَهْدِ بِالْوَقْفَةِ  
غَلِيْلِي لَهُ وَقْدَةٌ فِي حَشَايَ  
وَعَيْنَايَ كَالْمَرْزَةِ الْهَامِيَةِ  
قَائِلِي لَهُ مَا تُرِيْنُ الْجَفُونُ  
وَمَا تَحْمِلُ الْأَنْفُسُ الْجَاوِغَةَ  
دَقُوتُ الْقَرِيْبِ لِحَارِ الْقَرِيْبِ  
وَحَارَتْ يَرَاعِيِي الْخَاشِعَةَ  
رَأْسٌ وَهَاتِ حَدِيثَ الشَّهِيدِ  
حَبِيْبِ السَّمُوعِ كَظِيمِ الْآلَمِ  
فَنَاقِي الْبَطُولَاتِ يَحْمِلُو الْهَكَاهُ  
وَلَكِنْ مَعَانِي الْقِدَا وَالشَّمَمِ  
سَتُطَوِي الْمُصَوِّرَ وَذِكْرِي الْحَبِيْبِ

عَلَى الدَّهْرِ تَحْفِقُ خَلْقَ الْعَالَمِ  
إِسَامُ الْهَدَى زِينَةُ اللَّعِيْنِ  
مَنَارُ الْحِجَارِ الْعَلِيِّ الشَّيْمِ  
دَعَا بِاسْمِهِ قَهْرٌ بِانْعِرَاقِ  
أَبْوَا أَنْ يَطِيعُوا يَرْبِدَ وَقَالُوا  
أُمِّيَّةٌ فِي النَّاسِ أَصْلُ الشَّقَاقِ  
أَلَمْ يَدْعُ فِي الشَّامِ جَهْرًا أَبُوهُ  
إِلَى فِتْنَةٍ بَعْدَ سُوءِ الْإِتْلَاقِ ؟  
وَمَا نَالَ مَا نَالَ مِنْ عَلِيٍّ  
بِثَغْرِ الْأَذَى وَالْخَنَى وَالْمَقَاقِ !  
يَمَا قَمِي تَحْبُهُ غِيْلَةٌ  
عَلِيٍّ وَطَاحَ الرَّدَى بِالْحَسَنِ  
وَسَاكَ مُكَارِبَةُ الْمَلِيْنِ  
تَكْشَفُ مِنْ أَمْرِهِ مَا بَطْنُ  
فَأُنْكَرَ فِي الْحُكْمِ سُورَى الْأُمُورِ

وَدَلُّ بِلَطَانِهِ وَافْتَقَنَ  
وَمَهَّدَ مِنْ بَعْدِهِ لِابْنِهِ  
فَقَالَ الْعَهْدُ بِكُلِّ ثَمَنٍ  
وَبَاتَ عَلَى الضَّنَنِ أَهْلُ الْحِجَارِ  
يُسْرُونَ سُخْطًا عَلَى الظَّالِمِ  
فَلَمَّوَتْ أَيْسَرُ مِنْ طَاعَةِ  
لِسِيْفِ مُكَاوِبَةِ الْفَاسِيْرِ  
أَبَاةٌ فَا عَرَفُوا زُلْمَةَ  
وَلَا رَهْبُوا سَطْوَةَ الْحَاكِمِ  
يَرَوْنَ الْخِلَافَةَ سُورَى نَبِيٍّ  
أُمِّيَّةٌ بِالْإِنْيِ أَوْ هَاشِمِ  
دَعَاهُ إِلَى الْكُونَةِ الْتَائِرِنِ  
يَقُولُونَ إِنَّا عَصَيْنَا يَزِيدَا

خَفَضْتُ الْبِرَاعَ لِدِكْرِ الشَّهِيدِ وَأَشْفَقْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَطَابِ  
وَحَيَّرَ شِعْرِي هَذَا الْكِلَالُ قَهْلٌ مِنْ سَبِيلِ إِلَى مَا رُبِي ؟  
لِدِكْرِ الْحَبِيْبِ خَفَضْتُ الْبِرَاعَ وَأَكْبَرْتُ ذِكْرَهُ مِنْ مَنَاسِي  
لِدِكْرِ الْأَبِيِّ النَّجِيْدِ الْقَتِي

الكَرِيمِ الزَّكِيِّ ابْنِ بَنَاتِ النَّبِيِّ

هَلَالَةُ الْحُزْمِ ، لَوْنُ السَّمَاءِ عَلَى جَانِبَيْكَ خِيَالُ الدَّمِ  
تَرَفَرَقَ فِي الْأَفَقِ هَذَا النَّجِيْعُ وَأَلْقَى الْخِصَابَ عَلَى الْأَعْيُنِ  
وَجَرَّ عَلَيْهِ السَّوَادَ الدُّجَى قَبَاتَ بِهِ الْأَفَقُ فِي مَأْنَمِ  
طُيُوفُ تَرَدُّدٍ فِي خَاطِرِي لِكُلِّ مَعَانِي الْأَمْسَى تَنْفَسِي  
خِيَالُ يَوْزَقِي فِي الدُّجَى وَأَمَحُو النَّدَاةَ عَلَى ذِكْرِهِ  
تَنِيْضُ لَهُ أَدْمِيِي النَّالِيَاتِ وَيَذْعَلُ قَائِي عَنْ صَبْرِهِ  
وَأَنِّي سَجَلْتُ أَقْلُ الْخَطُوبِ يَمْزِمُ نَحَاذِلُ عَنْ قَهْرِهِ

تَرَى فِي تَرْدِيهِ مُرَدَّ الذِّئْبِ عَلَى السَّالِمِينَ تَلَاءَ جَدِيدَا  
مِنَ الْعَصَبَةِ الْبَاطِشِينَ الْغِلَاطِ إِلَى الْجَوْرِ يَحْمِلُ قَلَمًا حَدِيدًا  
إِمَامٌ لَنَا ؟ سَاءَ هَذَا إِمَامًا بَرَى النَّاسَ إِلَّا ذَوِيهِ عِبِيدًا  
إِمَامٌ لَنَا فِي مَكَانِ الْحُسَيْنِ يَقُومُ عَلَى الْأَمْرِ دُنْيَا وَدِينًا ؟  
فَذِينَ مِنَ الْعَجَمِ بَغَضُ الْخَصِي وَمَا كَانَ إِلَّا التُّرَابُ الْمُهَيَّنَا  
وَهَلْ كَابُنِ فَاطِمَةَ فِي الرِّجَالِ إِذَا قَلَبَ الظَّرْفُ فِي السَّامِيْنَا ؟  
أَشِدُّ الرِّجَالِ يَدًا فِي الْجِهَادِ وَأَضْوَاهُمْ فِي الْمَضَى جَبِينَا  
إِلَيْنَا ... إِيْنَا ؟ ، فَتَى هَاشِمٍ إِلَيْنَا فَلَيْسَ سِوَاكَ أَلْهَدَى  
مَسْهَرًا إِنْ جِئْنَا بِالْخَطُوبِ وَتَضْرِبُ حَتَّى يَخَافَ الرَّدَى  
وَيَنْفِدُكَ آفَا الدَّارِعُونَ وَهَلْ تَمَّ غَيْرُكَ مِنْ مُنْتَدَى ؟  
وَيَفْرَعُ خَضَمُكَ بَابِنِ الْإِمَامِ وَيَطْرَحُ الْخَوْفَ مَنْ أُنْدَا  
وَنَجَى الْحُسَيْنُ وَمَا مِثْلُهُ إِذَا تَمَّ بِاتَّعُونَ مَنْ يَنْتَرِبُ  
لَهُ هِمَّةٌ إِنْ تَدَاعَى الرِّجَالُ وَسَبَقُ إِلَى السَّكْرَمَاتِ تَعِيبُ  
إِذَا اسْتَقْرَحَ الطُّقُ يُومًا بِهِ مَكَلُّ عَنَاءِهِ إِلَيْهِ حَبِيبُ  
وَمَا كَانَ عَنْ زَرْقٍ إِذَا أَجَابَ وَلَكِنَّهُ الشَّمُّ الْمُسْتَجِيبُ  
وَكَانَ بِمَكَّةَ مِنْ نَاصِحٍ يُتَذَبُّهُ أَنَّهُ رَاحِلُ  
يَقْطُونَ شَرًّا بِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكُلُّ هُنَاكَ لَهُ خَازِلُ  
وَكَمْ ذَا احْتَوَاهُ فَأَوْحَى لَهُ لِيَصْرِفَهُ تَجْلِسُ حَافِلُ  
بُرْدُدُ نَفْعُهُمُ النَّاجِعُونَ وَلِلْقَدَرِ الْكَلِمُ الْفَاصِلُ  
تَحْمِلُ مِنْ أَمَلِهِ (مُتْلَاً) <sup>(١)</sup> إِلَيْهِمْ يَجُوبُ وَيَسْتَطْلِعُ  
قُلُوبُ الْعِرَاقِ حُسَيْنِيَّةٌ فَلَيْتَ سَيُؤْنَهُمْ تَقْبَعُ  
يَرْيَدِيَّةٌ تَتَوَقَّى يَزِيدُ فَوْنُ السُّلْطَانِهِ أَطْوَعُ  
إِذَا تَحَمَّلَ الْإِمَاءُ السُّيُوفَ فَمِنْ حَطَبٍ هُنَّ أَوْ أَضْيَعُ  
قَضَى نَحْبَهُ ابْنُ عَقِيلٍ فَآ تَسَامَعُ أَهْلُ الْحَبَازِ بِهِ  
تَبَرُّأَ مِنْهُ الَّذِينَ دَعَوْا وَمَنْ عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ حِزْبِهِ  
وَأَسْلَمَهُ لِلنَّاسِ لَابِنِ زِيَادٍ رَسُولِ يَزِيدَ إِلَى حَرْبِهِ  
فَسَارَ الرِّجَالُ بِهِ مُوْتَقًا وَمِنْ قِتَّةِ الْقَصْرِ أَلْقَوْا بِهِ

(١) مسلم بن عقيل بن أبي طالب

مَضَى الرَّكْبُ يَطْلُبُ أَرْضَ الْعِرَاقِ  
فِيَا حَادِي الرَّكْبِ أَبْطِئْ بِهِ  
تَهْمَلُ بِرَّكَكَ إِنَّ الزَّمَانَ عَجُولٌ بِمَا سَاقَ مِنْ خَطْبِهِ  
رُوَيْدَكَ يَا حَادِي الرَّكْبِ قِفْ وَمِلْ بِالسَّوَابِقِ مِنْ نُجْبِهِ  
أُذِرْ وَجْهَهُ أَتِيْهَذَا الدَّلِيلُ وَعُدَّ بِالْحُسَيْنِ ... أَلَا عُدَّ بِهِ  
سُكَيْنَةُ فِي الرَّكْبِ تُغْنِي الدُّمُوعَ

وَنُحْنِي هَوَاجِسَهَا زَيْبُ  
تَقُولُ لَنْ أَسْلَمْنَا الرِّجَالُ فَأَيْنَ مِنَ الْقَاتِلِ لِلْمُهْرَبِ ؟  
يَزِيدُ مِنَ الصَّخْرِ قَلْبُ لَهُ وَأَكْبَادُ أَصْحَابِهِ أَصْلَبُ  
نَوَا حَرْبًا إِنْ هَذَا السَّيْرُ إِلَى غَيْبِهِ خَلْفَهُ غَيْبُ  
أَسْبَرُ فِي قِلَّةِ الرِّجَالِ وَبَغْيُ بِهِ ثُمَّ أَسْرًا جَلِيلًا ؟  
فَمَنْ لِلْبَنِينَ غَدًا وَبَنَاتٍ إِذَا خَرَفِينَا الْحُسَيْنُ قِتْلًا  
وَمَنْ لِلْإِمَامَةِ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا قَتَلْتُمْ هُنَاكَ قِبْلًا  
عَذَابُ لِنَفْسِي هَذَا الرَّحِيلُ أَلَا سَاءَ هَذَا لِمَنْزِلِي رَحِيلًا  
مَضَى الرَّكْبُ عَجَلَانِ صَوْبَ الْقُرَاتِ

فَهَلَّا أَتَانِي الرَّكْبُ عَنْ وَرْدِهِ ؟  
مَضَى بِالْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ وَشَمُّ غَمَانٍ مِنْ جُنْدِهِ  
غَمَانٍ بَاعُوا لَدَيْهِ الْحَيَاةَ سَحَابًا وَسَارُوا عَلَى عَهْدِهِ  
إِلَى حَيْثُ لَا يَسْتَعِيرُ امْرُؤٌ وَلَا يَقْرُبُ السَّيْفُ مِنْ غَمْدِهِ  
عَلَى قَرَمَحَيْنِ تَرَاءَى الْقُرَاتُ وَأَوَامًا لِلْكُوفَةِ السَّالِكُونَ  
تَلَفَتْ لِلنَّهْرِ مُتَقَوِّحًا حُسَيْنُ وَرَاحَ بَطْنُ الظُّفُونَا  
فَأَيْنَ الدَّعَاءُ وَأَيْنَ الْحَاةُ وَأَيْنَ الْكَمَاءُ بِهَا الدَّارِعُونَ  
رَأَى الْقَلْبُ مَا لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ وَبَاحَ الْفَضَاءُ بِمَا يَضِيؤُونَ  
تَصَدَّى لَهُ (الْحَرْ) <sup>(١)</sup> فِي عَسْكَرٍ فَسَدَّ عَلَيْهِ مَجَازُ الطَّرِيقِ  
فَالَ عَنِ الْكُوفَةِ ابْنُ الْإِمَامِ

وَفِي النَّفْسِ ضَيْقٌ بِهَا أَيْ ضَيْقُ  
تَفَشَّتْ نَحْيَاهُ سَحْبُ انْقِيَاضِ وَفِي الْقَلْبِ رَسَاسٌ حَزْنِ تَعْدِي  
تُسْكُولُ وَلَوْمْ وَمَسْكُورٌ وَغَدَرٌ وَخَلْفٌ عَلَى إِثَرٍ وَغَدَرٌ وَثَبُّ

(١) الحر بن يزيد أرسله عبيد الله بن زياد والي البصرة والكوفة .

ولولا عقائلُ بين الخدورِ تصدّى لهم وحدهُ برّحمتِ  
تدبّرَ حينَ احتواه الظلامُ فزّينَ للتّابِيعِ الدّجاءَ  
خذوا اليدَ مُتّجّاتكم واجعلوها

— واد الدجى فى سراكُم غطاء  
فا طلبوا اليومَ إلا دى فإن تسلوا انتُ أخشى القداء  
وليس عليكم لَمَرى عارٌ ولكن قلى طالبيكم ظاء  
تتابعَ أصحابهُ يُقسِمون ليَلْقَوْنَ بين يديه الردى  
إذا بذل النفسَ مَنّا غدا شهيدٌ فى الحق ما استشهدا  
وقال بنو عَمّهِ : مَنْ يَخْوضُ سوانا فذاك الخُتوفُ غدا ؟  
قليلٌ إذا ما لفظنا النفوسَ سَمَحاً لَمَرى أهلك القدا  
ورددَ فى الدهرِ أَرْجوزةً وكيف يَومُ الكرامِ الهوانا  
بكتَ أختهُ وأتتْ بابهُ تشقُّ الثيابَ عليه حنانا  
فهدّ عَدها ونهاها الحُسينُ وقال : رَضيتُ بهذا امتحاناً  
فيا أختُ لا تَأْمى إن قُتِلتُ وإلا ائْتَهَمْتِ مقامى امتحاناً  
وباتَ خيولُ العدا حَولهم تَدورُ فَتَقْرُبُ أو تَبعدُ  
لدى كلِّ رُكنٍ حَدِيدٌ يَرى وفى كلِّ زاويةٍ مرصدُ  
ويَجْعُ بروجُ وِجْعُ يَجْجى ويسخرُ ذاكَ وذا يوعِدُ  
ومن خلفِ أَسْتارِهِ فى الخِباءِ حُسينُ خالقه يَسجدُ  
(البقية فى العدد القادم)

الغفيف

يُسابِرُهُ (الخُر) فى جِيشِهِ ورَ كِبَ الحُسينِ يَحُوبُ الفَلّا  
عَقّاً عَمَوّةً فرأى أَنه يسيرُ إلى خِصْفِهِ مُعْجَلاً  
تَسابِرَ فى سِيرِهِ جَاهِدا فَحَطَّ بِهِ الجُهدُ فى كَرْبِلا  
هناكَ حيثُ أحاطَ بِهِ غِلَاطٌ يُسِرُّونَ أنْ يُقْتَلَا  
وكأثرُهُ وهو فى قَلْبِهِ عَلَى الشَّطْمِ حَوْلِهِ عَشْكَرُ  
وسَدُوا إلى النهرِ عَمّه الطريقَ فَتَدَمَّعَ عَيْنَاهُ إِذْ يَنْظُرُ  
فنى مُخْذَعٍ بين تلكِ الخُدُورِ صِغارٌ عن الماءِ لا تَصْبرُ  
وفى خَيْمَةٍ حَجَبَتْهَا الشُّورُ جُهُونٌ مُقَرَّعةٌ تُنْطَرُ  
ألا كم تَطالُرُ هذا العذابُ وكَم لَمَحَتْ نُذُرُ النّاشِيةِ  
وكَم أَرَمَضَ الخُرُ مِنْ مُهِجَةٍ وَفَرَحَ مِنْ كَيْدِ ضَاوِيَةٍ  
سَيرُ يَحْرِقُ أَحْشَاءَهُمْ إِذا أَبْصَرُوا حَوْلَهُمْ آيَةٍ  
وما شَرِبُوا غَيْرَ ماءِ سَخِينٍ تَظَلُّ الجُفُونُ بِهِ هَاكِمِيَةٍ  
بنفسى صَبِيٍّ ذَوَى عودِهِ كَرِيحَانَةٍ غَضِيَّةٍ تَذُبُّ  
تَظَلُّ مُنْجِلَةٌ أَشْهُ وفى قَلْبِهَا وَاعِلٌ بِأَكْلِ  
فلَو طَلَبُوا نَاطِلِيهَا مَعاً لَيَشْرَبَ خَفَّتْ بِمَا تَبْذُلُ  
بِعُوجَتِهَا تَشْرِى جُرْعَةٌ وماءُ الفَرَاتِ لَمْ تَسْلُلْ  
تَقْدَمُ مُحْتَبِيّاً بِالْحَسامِ حُسينُ وقالَ إلى : اِسْمَعُوا !  
دَعَانِي لِنُصْرَتِهِمْ قَوْمُكُمْ وَإِنى إلى الحقِّ مَنْ يَسْرِعُ  
فَلَمّا أَلانِي يَنْصَحى يَزِيدُ هُناكَ بِالشّامِ أو أَرْجِعُ  
فإن تَكَرَّهوا تَبَيَّنَكَ ائْتَمَلَتَيْنِ

إلى التُّركِ أَفْتَحُ أو أَصْرَعُ  
أَبَوها عَلَيْهِ فَا عِنْدَهُمْ سِرْوَى أنْ يُبَايِعَ مُسْتَسْلِمًا  
أَمَرُوا قلى لَوِيهِمْ مُوَعِدِينَ وَقد عَبرُوا شَيْخَهُمُ الْأَمّا  
وكَم صَارَخَ فِيهِمْ بِالْعِدا جَكَنَ تَعَوَّدَ أنْ يُجْعِيَا  
سَيُؤْخِضُ حَوْلَهُ تُنْتَضَى كَفَاءُ الْأَمَى وَالضُّى وَالظُّمّا  
ولسكنهُ عَازِفٌ ذَلَّةً وَرَجَّحَ الردى حَوْلَهُ تَغْصِفُ  
صَبُورٌ عَنِ الماءِ فى مَوَاقِبِ تُرى الأَرْضَ مِنْ هَوْلِهِ تَرْجُفُ  
وَلَوْ كانَ لَهْ يَغْصِفُ تلكَ الجُوعِ لَمّا كانَ عَنِ بَيْتِهِ مُصْرِفُ

ظهر المجلد الثانى من كتاب :

## وحى الرسالة

بـ  
احمد حسن الزيات

وهو مجموعة مترجمة من أدب الاجتماع والنقد والحرب والسياسة  
يطلب من إدارة الرسالة ومن سائر السالكات  
ومنه أربعون قرشاً غير أجرة البريد

# ثورة الإسلام

للأستاذ حسن جواد الجشي



كان الإسلام  
ثورة هائلة من ثورات  
الطبيعة الكبرى على  
جمود العقل البشري  
وتمجده ، فأطلقه  
بعد أن كان موقفاً في  
قيود الأوهام  
والخرافات ، وأشعره  
بقيمته بعد أن كان  
نائماً في ثقافات الحياة

وصنائرها ؛ وغلب أوضاع تلك الحياة رأساً على عقب وأبدلها  
بأوضاع أجدر بشرف الإنسان وكرامته . وتلك هي وظيفة الثورة  
الإصلاحية في كل زمان .

وإذا كانت الثورة كما يعرفها أحد كتاب الغرب ( هي سقوط  
وتهدم يحدان في فترة صغيرة لجميع ما كان بعد إلى ذلك الوقت  
أسلاً للحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في الأمة )  
فما أحرارنا ونحن بسدد التحدث عن مبادئ الثورة الإسلامية  
أو عن ثورة الإسلام أن نأتي نظرة خاطفة على بعض النظم التي  
جاء الإسلام لمحاربتها والنقض عليها لا بين العرب فحسب ، وإنما  
في غيرهم من سائر الأمم أيضاً ، لأن الأثر الذي تركه الإسلام لم  
يقتصر على العرب ، وإنما شمل أمماً غيرهم ولو في الشكل دون  
الجوهر .

يقول الكاتب الإنجليزي ( H. O. Wells ) ه . ج . ولز  
في كتابه « موجز تاريخ العالم » عند تحدثه عن تلك الحقبة من  
تاريخ البشر ما ترجمته : « لو أن متنبئاً من هواة التاريخ استعرض  
العالم في مستهل القرن السابع لكان من المحتمل أن ينتهي إلى

الحكم بأنه لن تمضي إلا بضعة قرون حتى تصبح قارتا أوروبا  
وآسيا خاضعتين للحكم القوي القائم في الصين ؛ إذ لم يكن هناك  
ما يدل على وجود أي نظام أو اتحاد في أوروبا الغربية ؛ أما  
الامبراطوريتان الرومانية والفارسية فقد كانت كل منهما متطويرة  
على هدم الأخرى وتخطيمها ؛ وإذا التفت إلى الهند فإنه يجد ما  
منقصة على نفسها خافية ... » ثم يقول : « والخطأ الذي كان  
من المحتمل جداً أن يرتكبه متنبئونا هذا في استعراضه هو تجاهله  
للقوى الأصلية السكاغية في الصحراء العربية » .

وفي هذا القول دلالة واضحة على أن العالم كان حينذاك  
يتخبط في غياهب الفوضى ودياجير الانحلال ، وأنه إذا كان نعمة  
بصيص أمل لا نفاذه ، تألق الصحراء العربية هي التي كان يتخايل  
على حواشها هذا البصيص ؛ لا لأن سكانها كانوا في نقطة عقلية  
تؤهلهم للقيام بدور المنقذ ، كلابل لأن أرواحهم كانت تقية  
لم تدنسها شوائب المدنية أو يدب إليها وهن النعيم . فها هو إلا  
أن تستيرها وتوجهها الوجهة السالفة حتى تأتي بالمجانب في  
سيادين الثقافة والتقدم .

وعلى خلاف ذلك كانت بيزنطة وفارس ، فقد كانتا في  
حروب متواصلة تنفصر هذه مرة وتفوز تلك أخرى ؛ وبرغم ذلك  
لم تكن الحالة السياسية الداخلية في كانتا الامبراطوريتين لتعرف  
الهدوء والاستقرار أما الأخلاق فقد بلغت مستهى التدهور  
والانحطاط حتى عادت النفوس رلا مهما زلها يدفعها وبشر فماليها  
غير الشهوة الجنسية ، وإلا فما معنى ذبوع مذهب مزدك في ذلك  
المصر — وهو مذهب إباضي هدام — لو لم تكن النفوس  
مستعدة لقبوله ؟ !

وإلى جانب ذلك كان يقوم في أكثر أنحاء العالم تقريباً  
نظام من الاسترقاق الفظيع الذي لا يعرف غير العنف والقوة في  
معاملة الأرقاء والمستعبدين ، فكان مباحاً للسادة أن يتصرفوا  
في حيوات أرقائهم كما يتصرفون في سائر أمتعتهم ، فإن شاءوا  
أبقتوا وإن شاءوا أبادوا دون أن يسألوا أمام قانون أو عرق .  
وإذا عاقبهم فبالكي على الجباه والجلد بالسياط إلى آخر ما بهالك  
من ضروب القسوة .

وقد يخطر لأحد القراء أن يسأل : وأين إذن تعليم المسيحية

بها من أدراك الشرك واستبطانها من عقابيل الوثنية ، ونادى أول ما نادى أن إله إلا الله ، فلا الشبهات بعد اليوم ولا القوة ولا المال ولا الأسماء هي التي تمنولها الحياة ، وإنما تمنول الله الأحد الصمد خالق الخلق ومدبر كل ما في الكون . وبهذا مهد السبيل للنفس الإنسانية لتغفل من قيودها الثقيلة المرهقة وتتصل حرة ببارئها تستلهم منه العون والمهابة على مواصلة الكفاح وسلوك أقوم السبل دون لجوء لوساطة كاهن أو شفاعة ولي . وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون .

هذا التماسي بالنفس الإنسانية والتعالي بها عن ضلالات القول وزيف البصائر هو الذي يفتقده الباحث في كثير من تاريخ الثورات البشرية ، فالفرنسيون مثلاً بعد أن ثاروا ثورتهم الكبرى وحطموا معقل الظلم وزلزلوا معالم الاستبداد وأعلنوا حقوق الإنسان الطبيعية التي تستند إلى مركزه في الحياة ، ساق الثائرون أنفسهم أكثر من ألفين من خبرة رجال الثورة إلى الشائقي ثم عمدوا إلى أجل فتاة في باريس ووضعوها في إحدى السككائس وأخذوا يقدمون لها فروض العبادة ومراسيم الخشوع باسم « ربة العقل » ، ناسين ما أعلنوه قبل ذلك من حرية البشر وتساويهم ، وما كانوا ليقعوا في مثل هذا الهوس والتطرف ، لو أن ثورتهم استندت إلى وهي روعي شامل كثورة الإسلام . والحقيقة أن هذا الوعي الروحي الذي يقدر الشخصية الإنسانية ويحدد صلة هذه الشخصية بالروح السارية في هذا الكون ثم صلتها بشار الأحياء والكائنات ، نعم هذا الوعي هو الذي سقل النفوس الملته وهماها لاسر الاقلايات الاجتماعية والسقيلة لأنه وجهها وجهة واحدة وقضى على شعور الخشوع الرائن عليها فتتج عن ذلك إحساس قوي بكفائتها وقدرتها على الفهم والتدبر .

ومن هنا كان ذلك الانقلاب العظيم الذي أحدثه الإسلام في تقدير العقل واحترام أحكامه باعتباره هادي البشر — بعد الروح — في جهادهم نحو الكمال . فلقد كان الناس قبل ذلك أسرى موروثاتهم وتقاليدهم لا يصدقون إلا ما كان عليه آباؤهم ، وما كان عليه آباؤهم هو الجبل والجود ، فدعاهم الإسلام إلى التفكير

لتكسكف من غريب هذه الشبهات وتحدد من جوحها وتميد النفوس إلى تقاوة النظرة وطهارة الإيمان . . . والجواب على ذلك أنكره المؤرخ الإنجليزي « جيبون » إذ هو خير من توفر على دراسة هذا المصرا . قال جيبون : « إن النصرانية في القرن السابع الميلاد قد استجحات وثنية ، فقد أصبحت الوجوه تولى شطر الأسماء والأنصاب التي حلت محل الهياكل والمعابد وأخذ مكان عرش الله وعظمته القديسون والشهداء ، وحارت الأفهام في معنى التثليث والاتحاد والحلول وعموا عن التوحيد » .

أما في مكة والطائف فلم يكن الوضع أحسن منه في بيزنطة وقارس ؟ فقد نشأ فيها الانحلال الخلقى وصفات مكانة المرأة حتى وأد الآباء بناتهم ، وجاس المرابون خلال الشجب يمتصون دمه مستغلين فقره وحاجته ، حتى أكره بعض المحتاجين بناتهم على البغاء ليستطيعوا وفاة ما ركبهم من ديون ؟ فلما جاء القرآن نهام عن ذلك « ولا تكررهن فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

\*\*\*

شورر تقلوها شورر ! وظلمات فوقها ظلمات ! فلا بد من النور لا بد من النور ! وإلا تاه القطيع وتردى في هاوية الفناء ! وشمع النور ! وتلاؤلاً واستفاض ! وإذا بصوت محمد يتعالى في شجاب مكة وبطاحها منادياً : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا » .

وكانت تلك الدعوة شرارة الثورة الكبرى ، الثورة التي قلبت الأوضاع الجائرة ، وبعث النظم البائرة ، وقلبت العالم من حال إلى حال ، والإنسانية من ضمة إلى جلال .

لقد استهل الإسلام ثورته بالدعوة لتوحيد الله وقرن النجاح بهذا التوحيد ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الإسلام يعتبر وهي الروح أصلاً نوعي العقل ؟ معناه أن الأمم مهما وفر حظها من ثقافة العقل ، فإن هذه الثقافة لا بد لها من عقيدة روحية تستندها وتثيرها المتالك وتأخذبيدها نحو صالحها وصالح الحياة الإنسانية ، وإلا هدمت ما شيدت واقتلعت ما زرعت وتلبست طبائع المهر فأكلت ما أنجبت ؟ ولهذا وجه محمد أول ما وجهه من جهود نحو غرس هذه العقيدة الروحية ، فعمل على تطهير الأرواح مما ملق

وإذا التفتنا بعد هذا الى الثورة التي احدها الإسلام في حياة البشر الاقتصادية وجدنا عجيباً من العجب، وجدنا نظاماً اقتصادياً لو أخذ به البشر وعسكوا بأهذابه لكفوا كثيراً من ويلاتهم الاجتماعية والخلقية لأنه يكفهم الفقر، والفقر منبع أكثر الشرور والمصائب.

لقد كان النظام الطبقي بالغا اشدّه قبل الإسلام فكان الاغنياء والأشراف يستغلون جهود الشعب ويبتزون ثمرات انعامه - كما يفعلون اليوم - ويثقلون كاهله بمختلف الأثارات والضرائب دون أن يستطيع دفع ذلك أو مناهضته - والى جانب هؤلاء كان المرابون الجشعون يمتصرون ما تبقى من هذه الجهود فيبر راحمين ولا مشفقين. فلما جاء الإسلام قلب هذه الأوضاع واعد الحق الى نصابه فحرم الربا وجعل في أموال هؤلاء الاغنياء حقاً مملوكاً للمحرورين ملزمين شرعاً وقسراً بإدائه لهم، بعد أن كان هؤلاء المحرورون ملزمين بتقديم ثمرات انعامهم للاغنياء دون مقابل. وبهذا التشريع أقام الإسلام النعمة الثالثة التي هي التوازن الاقتصادي؛ وهو كالتوحيد الاجتماعي عامل ضروري في هناء البشر وتقدمهم كما أنه نتيجة حتمية لبدا التوحيد.

هذه أقباس من تلك الشعلة العظيمة التي تفتح عنها قلب النيب فتلقها القلوب العربية المسلمة، وسهرت عليها تفذيها وتلهب ضرامها، حتى إذا تم لها ذلك انحاحت بها في أطراف الدنيا زرع جذواتها في كل نفس تنصل بها قذيب أراجاسها، وتنفث فيها الإيمان والقوة. . . فيا ليت شمرى ما الذي حل بالمسلمين اليوم - وهم أحفاد أولئك المفادير - حتى خدت هذه الشعلة في نفوسهم وعادوا غرضاً لكل طامع وهدفاً لكل مرید؟

إن في الأمر لرساء، على أن السراجي من أن نجد في الكشف عنه. . . السر أن المسلمين (وقد طال عليهم المهد وتفكروا لبيئتهم الصحراوية الأولى). نسوا مبادئ دينهم وعسكوا بالأعراض والقشور، وانقسموا بينهم شيعاً واحزاباً يتناهبون ويتهاونون.

فيا قلب النيب شعلة كتنك الشعلة اعساها تحرك هذه النفوس الهوامد عساها!

(القاهرة)

عبد المبرر الخشني  
عضو اللجنة البحرانية

والتأمل وشبه الذين لا يعقلون منهم بالانعام بل أحط منزلة « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل أضل سبيلاً » ؛ ولذلك كان سلاح الإسلام الوحيد لفوز النفوس هو الحجة العقلية والبرهان الانعائي ... ويوم سأل الكفار الرسول أن يأتيهم بما عددوا من المعجزات أجابهم دهشاً : « سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً » .

أليس في ذلك إيذان بأن البشرية قد بلغت طوراً لا يليق بها فيه ان تقع بغير ما عليه العقل، وأن الإسلام يمشى مع هذا العقل؟ ثم ما قولنا في دين يجعل تفكير ساعة خيراً من عبادة ستين سنة؟ إنه - وربى - لدين يجدر بالبشرية أن تحوطه برطابها وتجد في تفهم أغراضه ومرامييه، لأنه كان فاصلاً بين عصرين مختلفين من عصورها : عصر السحر والخرافات وعصر العقل والعلم، وبذلك نقلها نقلة وسعت آفاق وعيها وألهمت شوقاً للمعرفة والاطلاع، فكان ذلك ارهاصاً لكل التطورات الثقافية والعلمية التي نتم بها العالم بعد ذلك.

وعلى أساس هذا الوعي الروحي والعقلي قل الإسلام مبدأ التوحيد من منطقة المقيدة الى مجال الاجتماع فتأثر على جميع القواصل المصطنعة بين الأفراد والأمم، وحارب كل فكرة من شأنها أن تجر الى التنايد والتنافر، وقرر أن البشر وحدة لا تتجزأ كلهم من آدم وآدم من رب، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، واتقاهم أبرهم عملاً وأخلصهم سميّاً، لا أكثرهم تهجداً وأطولهم عبادة، وإذا كان الناس قد خلقوا شعوباً وقبائل مختلفة فلكي يتعارفوا ويتعاونوا تستفيد كل أمة من مواهب الأمم الأخرى وخصائصها لا أن يتخذوا هذا الاختلاف ذريعة للتناحر والتباغض (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). والأمم والأفراد يختلفون طبيعياً في استعدادهم للقوى وللتعاون مع الغير باختلاف بيئاتهم وظروف حياتهم.

وتطبيقاً لهذا البدأ من المساواة والتوحيد الاجتماعي أخذ الإسلام بيد المرأة ورفعها من مراغة المهانة والاستعباد الى ذروة الشرف والكرامة مقرواً حقها الطبيعي في الحياة : (ولهن مثل الذي عليهن).



# مؤامرة الخبيث

للاستاذ محمد عبد الغني حسن



الأشخاص : أبو جهل - أبو سفيان - الشيطان - أمية بن خلف - جماعة  
من قرش  
المكان : مرقس قرب دار النبي عليه السلام  
الزمان : ليلة مظلمة من ليالي الحرم ...

أبو جهل :

هذا الفتى ضلّ عن دنيا أبوته  
إني لأخشى عليكم من تخبطه  
فانوا أميين ، متفلسا ما أسانه ؟  
لأ كان من هاشم فينا حكومته  
أبو سفيان :

أيابني هاشم لم نكف إمرنكم  
حق يحيى ، نبي بين أظهركم  
رجل بن نبي أمية :

إت السدانة فيكم  
بنس البتوة ممن  
عادت فصارت نبوة  
لم يرفع حق الأبوة

أبو جهل :

لا كنت يوماً من بني مخزوم  
واليائنين الجدد في الصميم  
الشيطان يهس :

هذا مجال الدس والتفريق  
لا كنت من نار ومن حريق  
ثم يهور فيهم :

هذا الفتى يهذي بكل وساوس  
أن كان ربكم يخص بفضله  
أبو سفيان :

دعوا عدنان والماضين فاليت لا يحيا  
أما في المقبر الأحياء من يستقبل الوحيا ؟  
أبو جهل خاطباً أبا سفيان :

لعلك أولى به من فتى  
الشيطان يهتفها :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُ مُدْعٍ  
أبو سفيان :

نحن اسنا في حاجة لرعايه  
قد دعونا له الهداية لكن  
إذا ستم من فتى  
كيف يبيت قاعاً  
الشيطان :

إني أرى صحابة  
فإن تركتم أمره ال  
ناشدنكم أحناسكم  
وأن تريحوا العصر من

أبو جهل :

ما كنت يا شيطان إلا  
لم تمد ما في من الرغبة  
قصدت بالأس الفتى  
أردت فضخ رأسه  
أمية :

لعله قد سحر ال  
مينين منك واليذا

السائدين الناس بالعلوم  
إن لم يكن محمد غريب

بين الصديق الحر والصديق  
إن لم أير فيهم على طريق

ويذيعها ما بينكم قرآنا  
لم أم يخص بفضله عدنانا ؟

فالميت لا يحيا  
من يستقبل الوحيا ؟

أقام على الفقر يرعى الغنم !  
الشيطان يهتفها :

بإعداده كيف يرعى الأثم  
أبو سفيان :

ما لهذا الفتى يزيد غوايه  
ليس في مثله تصح الهداية  
فأسلموه للردى !  
في حيكما وما اهتدى ؟

من حوله وعددا  
يوم قد يعملو غدا  
أن تعملوا فيه الهدى !  
والمدي والأبدا ...

أبو جهل :

رجع نفسي والصدى  
وقيت الهدى ... !!  
وكان يفشى السجدا  
بحجر ... فابدا ...

أمية :

محبةً تُحطِّي، كذا  
وليس أقوى منك كذا

أبو جهل :

أنافى الضرب لا أخيب ولكن  
عجبا فأننى بفصل من النوى  
حجرى فى يدى تيبس لما  
إن يكن أُمس قد تولى فهذى  
أبو سفيان :

فلما تبصرت للفتى وهو على وصادة  
حيث الظلام فى رُبى الحى  
فلا يرانا أحد يا قوم من آحاده  
فستريح من محمد به ومن جهاده

أمية :

الليل أروخى على الدنيا ذوائبه  
لعل جبريل يحميه إذا هبطت  
حينئذ أرىناه فى الحراب مستويا  
فهل يكف أذنا عنه محراب ؟

أبو سفيان ينظر من ثوب إلى محمد النبي :

أراه فى البردة الخضراء مضطجعا

وسوف تضيقها بالدم - حراء  
إذا الصباح تجللى عن تأمرنا  
أبو جهل :

أقضى هذا الفتى بالأمس مضجعنا

فليس نذهب فيه اليوم آراء  
ألم يسخن لنا دنيا مورثة وأمة وديانات وآباء ...  
إنى لأعجب من أحوال صاحبكم  
أجاء يهدمنا أم جاء بقاء ؟ !

فرس لزميله :

انظر إلى رأسى تجد تروبا ! !

رميله :

أوامها أراك أم مروتا ؟ !

زميل آخر :

أرى أمانم ناظرى ضبابا  
يعقد دون رؤيتى حجابا

زميل رابع :

ليس ضبابا ما أرى ... وإنما  
كأنما أصيب لحظى بالمسى  
فلا أرى الضىء إلا مظلا ...

أبو سفيان :

أوامهم كلكم ؟ لعل جئا مسكم  
ما الرأى يا أبا الحكم ؟ فانت خير محتكم ...

أبو جهل مطلقا إلى محمد النبي :

محمد أئنا يرزك هاهنا  
ينام ولم يدر أن قرشنا  
واحد منهم يقول :

محمد قد فر من بيننا  
محمد أقلت من كفنا  
وما كان لحظى بالكاذب  
فيا حسرة الأمل الذاهب !

آخر : ول :

وما كان فى مضجع الهارب  
نزىل سوى ابن أبى طالب ...  
محمد عبد الفتى من

القصة المعصية لتقبل قهر شهر جبر

في

ضجوة العروس

المؤلف : استاذ ابراهيم عز الدين اسماعيل

المدرس بالحدوي اسماعيل الثانوية

مهده إلى الفراشة المحدومة التي ترقد في الظلام

بعد أن احترقت بالنور

قصة حب دامية بطلتها امرأة عاشت بوهيمية قلقة

تصجل النهاية وتتحنن بأصابعها يوم مصرعها .

الثمن ١٢ قرشا والبريد ٣ قروش

يطلب من الناشر . دار الكتب الأهلية

مودان الأوبرا تليفون ٤٩٥٦١

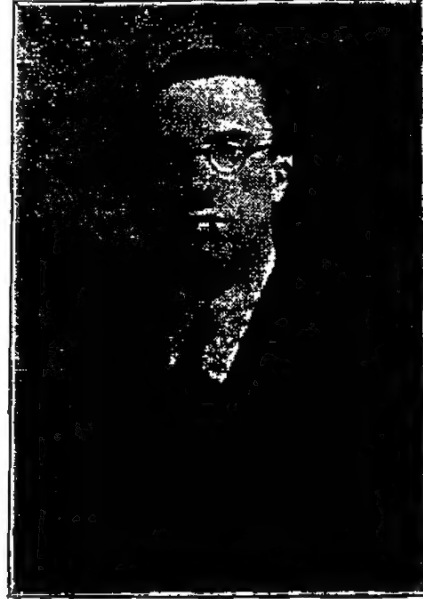
أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الفاقلون . » وقد حمل القرآن على القلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، فقال في موضع : « إن شر الدواب عند الله الصم البكم المعى الذين لا يعقلون » وقال في موضع آخر : « أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون » وكثيراً ما وردت آيات تنهى بهذه الجوامع « بل أكثرهم لا يعقلون » « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، أفلا تسمعون ؟ إنما يتذكر أولو الألباب ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . » ولم يقف القرآن عند هذه الحدود ، بل أمر بإحسان استعمال السمع والبصر والعقل حتى يهتدى الإنسان عن طريقها إلى الحق والحقيقة ، ويكون الحق واضحاً عنده والحقيقة ثابتة لديه : قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولاً ... »

وفي هذه الآية الجامعة الكريمة أصول رئيسية هي المبنية في أصول النظر العلمي ، فلقد أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح ، وأن على الإنسان أن يتمسك بما يصل إليه من حق أو حقيقة عن هذين الطريقين ، المشاهدة والتفكير .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإسلام أكبر العقل إكباراً ودونه أى إكبار ، ودعا إلى تعليمه وإجلاله والرجوع إليه دائماً قال تعالى : « وآتيناهم حكماً وعلماً » أى فقهاً وعلماً . وقال : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » أى آتيناه الفقه والعقل وإصابة القول في غير نبوة . وقال : « فأتيتهم يا أولى الألباب . إن في ذلك لبرة لأول الألباب » وقال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » أى ذوى عقل . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » أى عقل ، « لينذر من كان حياً ... » أى عاقلاً ، « ولقد بينا الآيات لقوم يعقلون ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وهناك آيات جامعات تدعو الإنسان إلى النظر في الكون والبحث في روائحه ، وإلى جعل العقل أساساً للتفكير والتفكير في الطبيعة على جلالها وعظمتها كما تستحقه على إطلاق تفكيره في السموات والأرض والوجود وما على الأرض ومن عليها . ولقد نظرنا إلى السماء كيف رفعها ، وإلى الأرض كيف سطعها ، والجلال كيف نصبها ، وإلى الإنسان كيف خلقه ، والآنما كيف

## العقل في القرآن الكريم

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



العقل أساس الدين ومنبع السلم ومطلعه ، وهل تقدم علم أو أزدهر فن إلا على أساس العقل ؟ وهل يستقيم دين بلا عقل ؟ وهل يعرف إنسان ما أمر الله به وما نهى عنه إلا بالعقل ؟

وعلى أساس العقل شرعت

الشرائع وسنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدينيات . لهذا لا عجب إذا ورد ذكره في كتاب الله وعلى لسان نبيه الكريم . فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته ، وعظم الرسول العقل وقدس حرمة . ومجده الفلاسفة والحكماء والعلماء فصرفوا جهودهم إلى إعلاء شأنه بالبحث فيه والرجوع إليه لقد أحل القرآن العقل منزلاً سامياً وجعله نوراً يهتدى به الناس وطالبهم باستعماله والتحاكم إليه رسماً نوراً في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ... » وسمى العلم المستفاد منه روحاً وروحاً فقال تعالى : « وأوحينا إليك روحاً من أمرنا ... » وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس ... »

وحين يجادل القرآن الماديين والدمريين وأرباب اللل والنحل إنما يجادلهم بالبرهان ويدعوم إلى إنعام النظر والفكر ، يجعل ذلك في قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم

ربكم » وبين أن الله يأخذ بالعقل ويمطى بالعقل ويثيب به ويعاقب على أساسه ، وما تم دين أحد بالبالعقل ، وما عبد الله بشيء أحب إليه من العقل ويمثل العقل .

روى لقمان بن أبي عامر عن أبي الدرداء أن رسول الله قال : « يا عويمر ازدد عقلاً تزد من ربك قرباً ، قلت : بأبي أنت وأمي ومن لي بالعقل ؟ قال اجنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلاً ، ثم تنقل بصالحات الأعمال تزد في الدنيا عقلاً وتزد من ربك قرباً وبه عزاً ... » وروى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : « أننى على رجل عند رسول الله يخبر فقال كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله إن من عبادته ... إن من خلقه ... إن من فضله ... إن من أدبه ... فقال كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله ثنى عليه بالمعاشرة وتسلنا عن عقله ، فقال رسول الله : « إن الأحق العابد يصيب بمجهل أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم » ويرى الرسول أن الحياء من مستلزمات العقل فلا يكونان إلا مع العقل ولا يسيران إلا في كنفه .

والعقل نور جمعه الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً به يميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات وعليه يقوم النجاح ويكون الفلاح . قال عليه السلام « العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل » وقال « أفلح من رزق لباً » أى عقلاً . قد مر في موطأ طرقاته

أوجدتها ، وإلى النباتات كيف أنبتها فقال تعالى : « وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » وقال جل وعلا « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » وقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقال « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وقال « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعة شداداً وجعلنا مناجياً وهادياً وأنزلنا من المصبرات ماء تَجَاوِجاً لَنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً . » وقال « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شققاً ، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباناً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً ، وقأكهة رباباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم ... » وقال « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » وقال « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكولون » .

ولا شك أن هذا النقط من الآيات الجامعة والأقوال اليتيمات مما يرشد الناس إلى التفكير فى السكون وخبايا الأرض وأسرار الحياة والتطلع إلى خفايا الوجود . وهذا ينطلق العقل البشرى باحثاً متقبلاً طامعاً مما يؤدي إلى الوصول إلى دقائق الحقائق فى الوقوف على نظام هذا السكون ووجوداته على تمددها وتبنياتها وتمفدها . كذلك كان الرسول ينظر إلى العقل نظرة كلها تعظيم وإجلال ، فقد رأى فيه أنه أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له قال عليه السلام حين سأله على عن سنته : « ... والعقل أصل ديني » وأمر بالتواصى بالعقل والرجوع إليه ففيه النجاة وفيه الأمان . قال عليه السلام : « اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم عنه . واعلموا أنه ينجدكم عند

صيرت القارى

## الكتب الآتية

ضرورية لثقافة فكرك واسانك

تاريخ الأدب العربى : المؤسستار الأصغر حسن الزيات

آلام فـرتر : للشاعر الفيلسوف « موزة »

رفائيل : لشاعر الحب والجمال « موزة »

اطلبها من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة